حرب
الصحراء المصرية

تأليف: السيد فرج

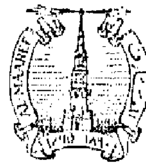


السيد فرج

حرب الصحراء المصرية

قصة الحرب فى صحراء مصر وشمال أفريقية

يونيو ١٩٤٠ — ديسمبر ١٩٤٢



ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

DESERT WAR

By

Lieut. EL-SAYED FARAG

Egyptian Army

1943

P.T. 20

المراجــــع

Destruction of an Army — Issued for the War Office by the Minst. Of Information.

The battle of Egypt — The Offical Record

Lybian log — E. G. O. Empire Air-Forces

Wavell in the Middle-East — Major - General H. Rowan Robinson

مقدمة الكتاب

لحضرة صاحب السعادة الفريق ابراهيم عطالله باشا

رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى

وياور جلالة الملك

عند ما بلغنى أن الملازم أول السيد فرج ، شارعٌ فى كتابة مؤلف جديد يضيفه إلى قائمة مؤلفاته القيمة تلقيت ذلك بالغبطة والتقدير ، وقد أتيح لى أن أتصفح هذا الكتاب الجديد الذى وسمه مؤلفه باسم « حرب الصحراء المصرية » فإذا به أول كتاب أخرج للناس فى هذا الموضوع باللغة العربية بل بأية لغة أخرى ، وإذا به لا ينفرد بميزة السبق وحدها ولكنه يجمع إلى دقة البحث واستقامة التفكير ، براعة العرض وأناقة التعبير .

وحرب الصحراء التى يبحثها هذا الكتاب هى واحدة من حروب هذا الصراع العالمى الكبير ، ولا شك أن ماحدث فى صحراء مصر وتم فى ميادين تونس كان من الأعمال الحربية الحاسمة ذات النتائج الفاصلة ، بل هى نقطة التحول أو بداية النهاية كما يصفونها بحق .

وقد حدثت فى هذه الحرب روحات وجيئات — على حد قول المؤلف — كان كل منها عملاً عسكريًّا كبيراً حريًّا بالدرس جديراً بالمراجعة وخصوصاً لشباب هذا الجيل المتيقظ من أبناء مصر، الذين لابد لهم من الاطلاع على ماجرى فى أراضيهم ، وما حدث على مقربة من ديارهم . ولا شك أنهم جدّ مشوقين إلى معرفة أسرار هذه الحوادث وخافياتها ، وخطط هذه الحرب وتطوراتها وأسلحتها ومعداتها وقادتها وجنودها .

أما رجال العسكرية فسيكونون أكثر شوقاً وتطلعاً إلى دراسة هذه الحملات الحربية بدقائقها وتفاصيلها ، وإنى أشير عليهم بأن يبحثوا دائماً مسائل المواصلات والتموين وأهمية الأرض وتأثيراتها على العمليات المختلفة ، وأن يدرسوا أسلحة الصحراء وأساليب التعاون فيما بينها ، وأن يدركوا قيمة الثبات مهما عظمت التضحيات ، وأن يعلموا أنه لا تكون هناك هزيمة نهائية ما دامت الروح المعنوية قوية

وإذا كنا ننصح دوامًا بالقراءة ونعدها مفتاح النهوض والارتقاء فإنى أهيب بأبنائى رجال الجيش أن يغترفوا من الثقافة العسكرية بأوفر نصيب ، وأن يعد كل منهم مكتبة يعبئ فيها كل جديد من المؤلفات والكتابات الحربية حتى يتيسر لهم متابعة التطورات الحديثة والإلمام بكل طارف وتليد مما يزيد دائرة معارفهم ويرفع مستوى معلوماتهم العامة وثقافتهم الحربية

وهذا القول الخاص أتبعه بنصح عام لجميع أبناء الوطن العزيز الذين لا يحبون أن يروا وطنهم مرة أخرى تحت خطر التهديد والذين يحبون أن يدفعوا عن بلدهم كل أذى ، وهو أن كل مواطن ، أينما كان موضعه ، مطالب بأن لا يغفل عن شئون الدفاع الوطنى وأن يعد نفسه جنديا من جنود البلاد ، وأن يأخذ بأسباب الاستعداد ، حيث لم تعد الحروب اليوم كما كانت فى الماضى قتالا بين جيشين ، بل صارت حروب أمم تعبئ جميع ما تملك من رجال وموارد . . .

أما بعد ، فهذا كتاب كان ضروريا أن يصدر فيتلقاه بشوق جميع أبناء مصر ، وأن يحتل مكانه فى المكتبة العربية بين المؤلفات الضرورية ، وإنه لما يدعو إلى الفخار أن يضعه مؤلف شاب من العسكريين ، وأن يوفق فى ذلك إلى أبعد حدود التوفيق

عاشت مصر ، ووفق الله أبناءها وأبلغهم الذروة من المجد فى عهد مولانا وقائدنا حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول أيده الله وسدد خطاه .

الحرب العالمية الثانية

ترفق القدر بأوروبا المعذبة يوم تمت تسوية ميونخ فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨ ومر الخطر دون انفجار ، فكان يوماً من الأيام المعدودة فى التاريخ أطلت فيه الإنسانية على الهوة السحيقة التى حفرتها لها الأطماع الهوجاء والأحقاد الشريرة ، ثم أشاحت بوجهها ، وقد كان غريباً حقاً أن يكتوى نفس الجيل بحربين عالميتين وأن تعود البشرية فتفجر نهراً جديداً متدفقاً من الدماء ، فتداركتها العناية فى اللحظة الأخيرة ولاحت فى الأفق بارقة الأمل .

وكان مصدر هذه الأزمة العنيفة ذلك النزاع الناشب بين ألمانيا وتشكوسلوفاكيا خاصاً بالألمان السوديت ، فكانت ألمانيا ترى ضرورة تحرير قومها العائشين تحت سيادة أجنبية ، ورفضت الحكومة التشكية ذلك واستحالت محاولات التوفيق لأن الفريقين المتنازعين تمسكا بنصوص نهائية غير قابلة لأى تعديل ، واتسعت الهوة وتطورت المسألة المحلية إلى مشكلة دولية خطيرة ، فإن انجلترا وفرنسا أعطتا تعهداً لتشكوسلوفاكيا بمساعدتها بينما كانت ألمانيا مصممة على تحقيق طلباتها

بقوة السلاح ، وكان معنى تنفيذ ذلك التهديد هو أن تشترك فرنسا وإنجلترا وروسيا فى الحرب فوراً ضد ألمانيا . . ومتى نضجت فكرة الحرب إلى هذا الحد وصار جوّ العلاقات الدولية مشبعاً بالشكوك وعدم الثقة فمن الطبيعى أن تثور الأعصاب وتحشد الجيوش ، وعندئذ لا يحول دون وقوع الكارثة حائل

وبلغت الحالة منتهاها واتخذت الحكومات قرارها النهائى ثم وقفت انجلترا الوقفة الأخيرة وأمسكت بالبقية الضئيلة الباقية من الأمل فخاطبت زعيم إيطاليا ليبذل وساطته لإنقاذ السلم فى هذه المرحلة الخطيرة المتأخرة فبادر السنيور موسولينى بمخاطبة المستشار الألمانى الذى أجل التعبئة العامة ٢٤ ساعة وسافر إلى ميونخ للاجتماع برؤساء الوزرات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية . . وهكذا لم تقع الحرب فى موعدها . فقد كان الزحف على «براغ» محدداً بالساعة الثانية بعد ظهر الأربعاء ٣٨/٩/٢٨

وأمضى أقطاب الدول الأربع ست ساعات وانتهت مباحثاتهم فى الساعة الأولى والنصف من صباح ٣٠ سبتمبر إلى اتفاق فى شأن تسليم إقليم السوديت الألمانى ، ووافقت على ذلك حكومة تشكوسلوفاكيا وهكذا نجا العالم بأعجوبة من المذبحة الكبرى . . ولكن الشر لم يكن قد انتهى ولم تؤمن عودة الأزمة العصيبة بعد قليل . . . .

وتلبد الجو الدولى مرة أخرى وجثم كابوس المخاوف فقد اجتاحت القوات الألمانية كل تشكوسلوفاكيا ، ثم أطلت نذر الحرب من ناحية

دنزج التى طالبت ألمانيا بضمها إلى حظيرة الريخ ورفضت أى تدخل أجنبى فى هذه المسألة وأصبحنا مرة أخرى أمام صور النشاط السياسى والمناورات الحربية والاجتماعات المتوالية والرسائل المؤثرة والجزع العام ، والوساوس والأوهام ، ووقفت ألمانيا وإيطاليا فى معسكر قبالة إنجلترا وفرنسا ، وحدث التسابق إلى موسكو ثم فوجىء العالم يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٩ بحادث خطير فى السياسة الدولية هز أعصاب الشعوب وأفقدها كل أمل فى إنقاذ السلام ، فقد عدلت روسيا اتجاهها السياسى فجأة واتفقت مع ألمانيا بمعاهدة صداقة وعدم اعتداء ملغية بذلك مشروع التحالف الثلاثى بين روسيا وفرنسا وانجلترا فكان ذلك نذير سوء وإيذاناً بحرب لا هوادة فيها ولا أمل فى تفاديها

وقد كان محتملا بعد ذلك أن تعيد انجلترا وفرنسا النظر فى تسوية مسألة دنزج مثلما حدث فى تشكوسلوفاكيا ولكن ظهر تصميم قاطع على « عدم الدفع » هذه المرة ! ثم أعلن الزعيم الإقليمى فى دنزج ضمها إلى الريخ . . وتحركت القوات ، ولم يعد هناك ما ينقذ العالم من حريق كبير ! ؟

قال مسيو سارو وزير داخلية فرنسا ، عند ما لاح شبح الحرب :

« إن أصوات الملايين من قتلى الحرب العظمى الذين تصافوا الآن فى عالم الأبدية تنذرنا بحرب جديدة تجعل الأرض أتوناً من نار ودركا

سحيقاً تدفن فيه الحضارة ومجهودات أجيال متعاقبة .. يقول لنا هؤلاء الموتى إن الحرب ليست ضرورة محتمة وإن الرجال الحسنى النية والشعوب ذوى الإدارة الحسنة يستطيعون – ويجب عليهم — أن يبذلوا كل جهد لاجتناب الكارثة ولو فى اللحظة الأخيرة . . »

ولكن تغلبت نزوة الشر على نزعة الخير

وتعطلت لغة الكلام ، وهدر المدفع بصوت راعد :

هذه هى الحرب . . .

ايطاليا والحرب

قبل سبعين عاما بعث البرنس بسمارك إلى السنيور مازيني في فلورنسا يقول :

لما لم تستطع إيطاليا وفرنسا تغيير شكل الكرة الأرضية كانتا دائماً متزاحمتين على سطحها وغالباً عدوتين ، وقد منحتهما الطبيعة تفاحة الخلاف الشهيرة فكانت البحر المتوسط . . يجب أن تكون السيادة على هذا البحر فكرة إيطاليا الرئيسية ومحور سياستها وهدف حكوماتها وشعبها

ولعل إيطاليا لم تكن متأثرة بمثل هذه « الفكرة » في أي عهد مثلما كانت في عهد موسوليني ، وقد رددت صحفه أكثر من مرة لفظة « البحيرة الايطالية » و « بحرنا » . . هذا إلى جانب علامات كثيرة فضحت مطامع إيطاليا في هذه البقعة الممتازة التي أصبحت من مسارح الحرب الرئيسية . . فإيطاليا كانت تعد نفسها سجينة في البحر المتوسط « وتريد أن تأخذ مفتاح أغلالها من سجانيها في جبل طارق والسويس » !

ومنذ أن انطوت ايطاليا مع ألمـانيا فى سياسة واحدة أصبح مفهوماً أنها ستدخل الحرب إلى جانبها ، وقد لعبت ايطاليا دوراً سياسياً ملحوظاً فى السنوات الفارطة خصوصاً فى وقت اشتداد الأزمات . فتعاونها مع ألمانيا فتح أمام الأخيرة أبواب فينا ، ووساطتها فى مسألة تشكوسلوفاكيا أرجأت الحرب عن موعدها فى مقابل ثمن باهظ ، ثم قيامها بالمظاهرات السياسية والمناورات الحربية فى أوقات منتقاة لإحداث تأثير خاص كان من دواعى تخوف الدول المجاورة ومن أسباب انشغال انجلترا وفرنسا ، وربما ترددهما .

وكانت خطب رئيس إيطاليا ذات طابع خاص يحمل علامات التهديد والوعيد وتلوح دائماً بنذر المستقبل فيتلقاها شباب الفاشيستى بصيحة راعدة « تونس . كورسكا . السويس » وعند ما بلغ مقياس الخطر نهايته خاطب موسولينى رجاله فقال « إننا لمستعدون اليوم استعداداً ما بلغناه أبداً ، براً وبحراً وجواً ، ويسرنى أن أراكم لم تتغيروا . . فهل أنتم ثابتون ؟ فيردون بقوة نعم ! وعلى استعداد للطاعة ؟ نعم . . ومستعدون أن تقاتلوا ؟ نعم نعم ! إذن سيروا مع روما فى الأيام المقبلة ، إن الزحف لم ينته . . وما لأحد أن يوقفه ! »

ثم قال موسولينى إن الحرب لازمة لحياة الأمة ، وإنها خير مجدد لشباب الشعوب ، وإنها منذ سنة ١٩٣٥ من الصناعات الوطنية الإيطالية !

ولما أعلنت الحرب لم تشترك إيطاليا فيها ، ولكن وقفتها المحوطة بالغموض والمنطوية على خطر لا يعرف مداه ولا موعده قد سببت إربا كا وتعطيلا لخطط الحلفاء ، وتأثيراً فى توزيع قواتهم وتوجيه دفتهم فاحتجزت فرق من الجند لها قيمتها فى أوقات شديدة الحرج والدقة انتظاراً لما يتكشف عنه الغد من نوايا إيطاليا ، وبذلك أصابت إيطاليا بصمتها ما عجزت عنه بضجيجها ! ووقفت الدول المجاورة لها فى حيرة وجزع لا تستطيع بسببهما أن تكشف عن نواياها الحقيقية فبقيت على حذر وانتظار مر . . فلما تتابعت حوادث الحرب وانتهى أمر فرنسا وجدت إيطاليا الساعة المناسبة لحمل السلاح فأعلنت الحرب فى ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ وقال موسولينى : لقد قضى الأمر وأحرقنا بمحض إرادتنا الكبارى التى خلفنا وإنى أعلن على رؤوس الأشهاد أن إيطاليا لا تنوى جر الشعوب التى تجاورها إلى نزاع فلتسمع سويسرا ويوغوسلافيا وتركيا ومصر واليونان . . .

هذه كانت الأقوال ، وسنرى ما كانت الأفعال . !

موقف مصر

تتبعت مصر الحالة الدولية عند ما تحرجت وأخذت تراقب بمنتهى الاهتمام ما كان يطرأ عليها من تطورات ، ويرجع اهتمام مصر بتطورات الأزمة الدولية فى أوروبا عند ما أصبحت مهددة بحرب عالمية إلى توقع اشتراك بريطانيا فى هذه الحرب واحتمال دخول إيطاليا فى ميدانها فى صف المانيا ضد فرنسا وبريطانيا .

فاذا وقع ذلك يكون ثمة خطر يهدد مصر .

وكانت مصر إلى جانب ذلك معرضة بحكم موقعها الجغرافى للإغارات الجوية ولبعض نتائج المعارك البحرية ولعمليات كانت منتظرة الوقوع بسبب قنال السويس . وقد رأينا فى السنوات التى سبقت الحرب كيف تحول البحر الأبيض المتوسط إلى مسرح للمناورات البحرية والجوية فلا يمتد الوقت به حتى يصبح ميدان المعارك الحاسمة .

وفى مصر الممر الرئيسى الذى يربط الشرق بالغرب . وطريقا بريطانيا إلى أجزاء الامبراطورية وهما قنال السويس التى تؤدى إلى الهند وطريق القاهرة المؤدى إلى الكاب .

كما كانت مصر مرتبطة ببريطانيا بمعاهدة لندن سنة ١٩٣٦ التى تنص المادة السابعة منها على أنه « إذا اشتبك أحد الطرفين فى حرب فإن الطرف الآخر يقوم فى الحال بإنجاده بصفته حليفاً وذلك مع مراعاة أحكام المادة العاشرة التى نصها : وتنحصر معاونة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها فى أن يقدم إلى صاحب الجلالة الملك والإمبراطور داخل حدود الأراضى المصرية ومع مراعاة النظام المصرى للإدارة والتشريع جميع التسهيلات الممكنة والمساعدة التى فى وسعه بما فى ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات » .

ولم تعد مصر أمة تسقط من الحساب إذا جاءت الحرب إلى البحر المتوسط فقد أصبحت من دوله المسئولة وصار لها نصيبها من مشكلاته . وقد أفادت مصر من الأزمات السياسية الدولية من حيث تقرير العلاقات بينها وبين بريطانيا ، كما أتيحت لها فرص الاستعداد واستيفاء ما استطاعت من شئون الدفاع الوطنى ، فقد هزتها الأزمات هزة الاستعداد للطوارئ فرأينا يقظة الحكومات ونشاط الجيش وتحفز الشعب وتنبهه إلى تقدير موقفه ومسئولياته .

وكان مجلس الوزراء يجتمع بين وقت وآخر لدرس الحالة الحربية وبتبادل الرأى مع السفارة البريطانية ويتصل بممثلى مصر فى الخارج لموافاته بتطورات الموقف السياسى فى أوروبا وما ينطوى فى ثنايا الأزمات ، وخصوصاً من ناحية المساعى البريطانية وموقف إيطاليا .

فلما تطورت حالة الحرب باشتراك إيطاليا فى غمارها واجهت الوزارة المصرية ممثلى البلاد فى البرلمان وعرضت عليهم سياستها فنالت تأييداً إجماعياً ، واتخذ القرار الآتى فى جلسة ١٢ يونيو ١٩٤٠ .

« مصر تحترم التحالف وتحفظ العهد وتبذل فى أراضيها كل ما تطلبه الحليفة من معاونة ولا تشترك فى الحرب إلا إذا اعتدت عليها إيطاليا »

١ — إذا توغلت الجنود الإيطالية فى الأراضى المصرية مبتدئة

٢ — إذا ضربت المدن المصرية بالقنابل .

٣ — إذا حدثت إغارات جوية على مواقع الجيش المصرى

أما سياسة مصر بالنسبة للحرب فقد عبر عنها رؤساء الوزارات المتوالية أصدق تعبير فى بياناتهم التى أيدتها البرلمانات وأقرها الشعب وهى أننا لا ننشد الا السلام والاستقرار فى بلادنا وأنه لا بد من الاستعداد لمواجهة الطوارئ والسهر لتجنيب البلاد شرور الحرب ومشكلاتها وما وراءها من متاعب وصعوبات .

وفى ٢١ ابريل ١٩٤٢ أصدر رفعة رئيس الوزراء تصريحا جاء فيه « لن أعمل أو أوافق أو أسلم بجر مصر إلى الاشتراك فى الحرب أو تقديم جنود من أبناء هذه البلاد مهما كانت الظروف والأحوال . . »

وقد صدرت عدة تصريحات أثنى فيها زعماء انجلترا وأمريكا على سياسة مصر وأنها قد أدت واجبها وقامت بالتزاماتها وساعدت مساعدة فعالة فى تمهيد الطريق إلى النصر

الصـــحراء

حدود الممالك إما أنهار كبيرة أو سلسلة جبال أو صحراء ، وأقسى هذه العوائق كلها التى تعوق تقدم أى جيش وأعسرها على التذليل هى الصـــــــحراء . . .   « نابليون »

. . وعلى الرغم مما طالعتنا به المدنية العصرية وأثرت به فى الحرب المركبات والمعدات الحديثة فما زال للصحراء خطرها وما زالت حرب الصحراء حرب متاعب وأهوال وجهود مضنية ، فهذا الذى قاله نابليون وأيدته أحداث التاريخ الحربى ما زال حقيقة واقعة رغم كل تطور وتحسن وتجديد .

وربما لم تعد الصور القديمة التى شهدها الغزاة فى العهود السابقة هى نفس الصور الحديثة فلا شك أن اختلافاً متنوعاً قد طرأ على حرب الصحراء ولكن الذى تغير هو نوع القوافل وأساليب العمل ، أما طبيعة الأشياء فلم تتغير ، ومتاعب الصحراء منها ما أمكن تذليله بواسطة المعدات الحديثة ومنها ما بقى ثابتاً لم تستطع هذه المعدات أن تخفف حدته أو توهن شدته .

فقد ذكر التاريخ إخفاق أكثر من حملة فى عبور الصحراء وكيف

كان ذلك الإخفاق مسبباً مرة بصعوبة السير وأخرى بنفاد المياه وثالثة بضل الطرق — كما حدث لحملة قمبيز على سيوة فهلكت عن آخرها — إلى آخر هذه الأسباب التى أمكن تفاديها فى عصر الميكانيكا والشرائط والعجلات والتقدم فى الهندسة والطبوغرافيا . وإن كانت ما تزال تقتضى جهوداً وترتيبات مضنية .

وشهادة نابليون بمناعة الصحراء ووضعها أهم العوائق التى تحمى مملكة إنما كان بسبب ما يصادفه المحاربون فيها من مشكلات المياه وعدم صلاحية التربة وحرارة الجو وتعذر إخفاء التحركات والوقاية إلخ . . فكل يواجه فى الصحراء عدواً بغيضاً ، ففيها يجب أن يحافظ على خطوط المواصلات الممتدة مئات الأميال ، وفيها يجب أن توزع المؤن والذخائر على الطلائع المرابطة فى المواقع البعيدة ، وفيها أيضاً تجب الحيطة فى نقل الجنود وترحيل الجرحى . . كل هذا فى شمس متقدة ويباب لا ماء فيه ، تركض فى أرجائه العواصف الرملية المحرقة .

والمياه أمر حيوى للجنود وضرورياتهم ، وأيضاً للعربات . ويتطلب ضمان توفرها تفجير نهر صناعى يتبع الجيش فى تقدمه وذلك بمد المواسير وحمايتها . كذلك بتجهيز عربات خاصة لنقل المياه ، وعمل خزانات لحفظ كميات كبيرة بمثابة احتياطى ، مع مداومة الكشف عن موارد المياه المحلية أثناء الطريق واستغلالها ، وذلك كله يحتاج لمجهودات كبيرة وعناية وافرة .

والعقبة الثانية هي قسوة الجو على المحاربين في الصحراء ، وخصوصاً للجنود الذين لم يعيشوا فيها ، بل ولم يألفوا غير حياة ملؤها الرفاهية يتمتعون فيها بالمدفئات أو المرطبات والمراوح ومكيفات الهواء . . في أحوال جوية قليلة التحول قلما تشتد أو تقسو فإذا انتقلوا لمسرح الحرب في الصحراء وجدوا شيئاً موحشاً مقلقاً ، وطالعهم عدو شديد يتمثل في جو هذه الفيافي القاسية الحرارة فينال من صفاء فكرهم وحسن استعدادهم و يؤثر في صحتهم وشهيتهم للقتال وخصوصاً وقد أصبح الجنود مغيبين في بطون الدبابات والعربات فيلاقون الأمرين من الحرارة الطبيعية وحرارة المركبات ، فوق ما تتعرض له المشاة أثناء السير من شمس الصحراء القاسية التي تسبب إصابات شديدة ، وغالباً تتولد الأمراض للكثيرين منهم بسبب هذا الجو الردىء فتبرز مشكلة جديدة وهي ضرورة توفر الاستعدادات الطبيــة ووحدات العلاج وترتيبات ترحيل الجرحى والمرضى إلى مناطق العمران حيث تتعذر في الصحراء أسباب المعالجة الدقيقة أو أماكن تناسب دور النقاهة والاستشفاء

و إلى جانب الحرارة يثب عامل آخر من عوامل العناء والإعاقة وهو الزوابع والتيارات الهوائية بما تحمله من ذرات دقيقة من الرمال تقذى العيون وتشتد في بعض الأحوال فتفتر الهمة وتضر بالأعصاب وهي إلى ذلك مفسدة للعربات عند نفاذها إلى الأجزاء الميكانيكية ومخازن المياه والبنزين . . .

ثم مشكلة تعذر الإختفاء . . فالصحراء تكشف تجمعات الجيوش وتحركاتها مما لا سبيل لإخفائه أو وقايته ، ولا يوجد فيها ما يساعد على الاستتار الذى تعطيه شوارع المدن أو الأرض المزروعة أو الطرقات وزاد ذلك إشكالاً — على المدافعين خصوصاً — نشاط السلاح الجوى إلى اكتشاف محلات العدو وأوضاعه وأخذ الصور الجوية الدقيقة لمواقعه مما يساعد على وضع خطط هجومية أكيدة النجاح .

ومشكلة التموين فى هذه الحرب عويصة لأنه فضلا عن الواجبات الاعتيادية فى الميادين الأخرى تتطلب هذه الارجاء حمل مقادير عظيمة من المياه والبنزين ونقلها مئات الأميال عبر الصحراء ، وتوزيعها على مئات النقط والمراكز المبعثرة هنا وهناك فالحاجة كبيرة إلى البنزين وتوفر وسائل الإصلاح التى تتطلبها طبيعة الأرض غير الممهدة الخالية من الطرق ، و إلى ضرورة وجود قطع الغيار بوفرة

فالجيش يقاتل بمعداته أما فى حرب الصحراء فإنه يقاتل بقطع الغيار وورش التصليح إذ أن سير هذه المركبات الميكانيكية المستمر فى الرمل والطرق الصحراوية يؤثر فى الدبابات والسيارات مما يجعل الإصلاح المستمر وتغيير الآلات وتجديدها أمراً ضرورياً ، ثم أن تعدد الأسلحة واختلاف السيارات يجعل هذه المهمة شاقة

ثم إنها حرب الفضاء الفسيح ، فميدان الصحراء يحتاج الأمر فيه إلى السرعة والعمليات الخاطفة

غير أن العامل الأساسى فى حرب الصحراء هو المياه وضرورة توفرها وإلى جانب ذلك لا يصبح ممكناً أن تقاد حملة عبر الصحراء ما لم يكن قوامها حشوداً من الدبابات والحملة الميكانيكية والطائرات حيث أن أساس هذه الحرب السرعة وخفة الحركة . . فعامل المياه وعامل الوقت هما محور الحرب الصحراوية ولا يمكن التثبت من كفاية قوة والاطمئنان إلى أعمالها ما لم تكن قد استعدت استعداداً كافياً من هذين العاملين .

أما انتصار الصحراء فأساسه الروح المعنوية . . فالصحراء شديدة ومصاعبها متعددة ، ولكن الذى يذلل شدتها و يهون صعبها هو قوة نفوس المحاربين وعزيمتهم وروح القتال التى تنطوى عليها صدورهم فلا تؤثر فيهم محن الطبيعة ما دام شيئاً قد ثبت فى أذهانهم واختلط بدمائهم وهو :

العدو . . لقاؤه . . ومقاتلته . . والقضاء عليه

وسـ ـــــــــــــــــنرى

البحر الأبيض المتوسط

برقه
البردية
كابوتزو
سيدى برانى
سيدى عمر
مساعد
الشقة
مرسى مطروح
بئر الكنايس
بئر فؤاد
بئر خالد
واحة سيوه
جغبوب
المملكة المصرية
الاسكندرية
خليج العرب
العلمين
الضبعة
الحمام
العامرية
دمنهور
كفر الزيات
طنطا
كفر الشيخ
وادى النطرون
الحمامات
هضبة الرويسات
الفيوم
بحيرة قارون

الحدود الغربية

o-o o-o o-o o-o	خط الحدود
....	طرق
———	سكة حديدية

الحدود الغربية *

الحدود بين صحراء مصر الغربية ولوبيا الإيطالية تمتد من بقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين السلوم المصرية والبردية اللوبية ، وتسير هذه الحدود إلى الجنوب فى خط متعرج إلى ما بين سيوه وجغبوب ثم تستقيم على خط طول ٢٥° إلى العوينات *

وقد أقام الإيطاليون من أعوام قبل الحرب حاجزاً من الأسلاك الشائكة على امتداد هذه الحدود ولكنه ليس بذى قيمة حربية

وإذا استثنينا عدة واحات قليلة متناثرة يمكن القول بأن الصحراء الغربية أرض قاحلة تتخللها هضاب ومرتفعات متباينة. وأرض الصحراء تجمع المتناقضات ففيها هضاب رمادية اللون غير متساوية وسهول مترامية من الحصى على ألوان مختلفة وتلال صغيرة مسطحة من الصخر الأبيض أو الأسود وأرض صلبة مستوية ، ومساحات من الطفل الجيرى وطرقات مديدة متفاوته السعة والارتفاع ، ومنخفضات تملؤها أكوام الرمال . .

---

* تمت الاتفاقية على هذه الحدود بين الحكومة المصرية وكان يمثلها دولة أحمد زيور باشا والحكومة الايطالية وكان يمثلها المركيز كمبيازو وذلك بدار رياسة مجلس الوزراء بالقاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥

وقد تكون الصحراء رمالا ثقيلة يصعب سير العربات عليها أو صخوراً صلبة يتعذر اجتيازها أو تكون أرضاً صلبة مستويه تسمح بسير الحملات الميكانيكية والدبابات ، وعموما تندر الطرق الصالحة وتصعب التحركات .

ولما كانت الحرب الحديثة تقوم على أساس القوات الميكانيكية فإن الصحراء لم تعد مانعاً وإن كانت تكلف غالياً ، فطبيعة الأرض وخلوها فى الغالب من الطرق الصالحة تجعل الحركة بطيئة وتلزم الأفراد بالبطء والاحتراس وتجهد العجلات والآلات . . وقد تظهر أراض لاسبيل لاجتيازها حيث سلاسل الرمال الرخوة ، أو صخور صماء ذات انحدارات شديدة وحيث لا توجد هيئات طبيعية أو علامات مميزة أو أغراض يمكن التعرف بها على الطريق . . وتتضارب آثار العربات وتختلف الدروب فتصبح الملاحة البرية من أشق صور الحرب .

وفى أرجاء هذه الصحراء الشاسعة عدة طرق مهدت وأخرى صالحة للاستخدام فى الأغراض الحربية ، وهى تمتد من وادى النيل إلى الحدود الغربية والمراكز الساحلية ويوجد خط حديدى من الاسكندرية إلى مرسى مطروح تجاوره طريق مرصوفة إلى الحدود ، ويقابله فى لوبيا طريق السيارات (أوتوستراد) الذى افتتحه موسولينى فى شهر مارس سنة ١٩٣٧ ويبتدىء من كابوتزو على الساحل مارا بالبردية وطبرق والغزالة ودرنة وبنغازى وأجدابية والعقيلة وطرابلس حتى يبلغ حدود تونس وطوله نحو ١٨٠٠ كم

المناوشات الأولى

عند ما أعلنت إيطاليا الحرب على انجلترا وفرنسا وضح أن مهمتها ستكون حجز قوات إنجليزية كبيرة فى كل مكان يلمس حدود إمبراطوريتها ووضح أن الحدود المصرية ستكون تحت خطر التهديد ، فقد كان الإيطاليون يحشدون جنودهم وطياراتهم و يتأهبون .

ولما غزت إيطاليا اليونان كان على الإنجليز مساعدة حليفتهم غير أن ذلك لم يمنع توالى وصول الإمدادات لمصر من الهند ونيوزلندا واستراليا فى سيل متلاحق نظراً لسلامة المواصلات بالشرق فضيّع ذلك على الإيطاليين فرصة القيام بعمليات سريعة حاسمة فى صحراء مصر بينما تمكن الإنجليز من زيادة معداتهم واستعداداتهم .

وكانت خطة الدفاع قد وضعت قبل نشوب الحرب بسنوات تمشياً مع التيارات السياسية و بوادر الخصومات فاتخذت التدابير لتحصين مرسى مطروح ومناطق الحدود عامة وجهزت بالملاجئ الحصينة وحفر الدبابات وأعدت حقول الألغام ونطاقات الأسلاك الشائكة وغيرها من وسائل الدفاع الحديثة مع إصلاح الطرق ومد مواسير المياه ووسائل المواصلات المختلفة .

وقد اقتصرت الأعمال الحربية من يوم إشتراك إيطاليا فى الحرب على نشاط الطائرات وأعمال الدوريات بينما كانت القوات تحشد فى الجهتين ومسائل التموين والمواصلات تشغل مجهودات الفريقين حتى صدر أول بلاغ رسمى من مركز قيادة القوات البريطانية فى الشرق الأوسط باحتلال الإنجليز لقلعتى كابوتزو ومادلينا بعد ضربها بقنابل الطائرات ، وأن القوات البريطانية أسرت مائة جندى أو يزيد ، وأن الطائرات هاجمت الأهداف العسكرية فى سيدى عزيز وواحة جغبوب ، وضربت أنابيب المياه الممتدة من البردية وخطوط المواصلات المرتبطة بطبرق

كما كانت إغارات الطائرات الإيطالية على السلوم وبرانى ومرسى مطروح تحتل البلاغات الرسمية منذ السادس عشر من شهر يونيو ، واعتادت الأسكندرية أن تسمع أصوات صفارات الإنذار غير مقترنة بعدوان حتى كانت ليلة ٢٣ يونيو وما تلاها من يوم عصيب فقد سمعت الإنذارات مع دوى المدافع وضجة القذائف من المساء حتى الثالثة صباحاً ثم استؤنفت الغارة بعد عشر دقائق حتى الخامسة والثلث وتبع ذلك غارة ثالثة ورابعة وخامسة فى النهار وقالت الجرائد أن هذه الغارة « شردت نوم المدينة وأرتها نموذجاً حياً من العدوان على المدن الآمنة . . »

ولعل من الطريف أن نذكر أن هذه الغارة قامت بها تسع طائرات

ألقت نحو ستة عشر قذيفة ونتج عنها قتل شخصين و إصابة ٢٣ شخصاً . . . ! ؟

. . وبدأت القوات الإيطالية تعمل منذ أول سبتمبر فتقدمت إلى السلوم ومساعد وقد كانتا هدف الغارات الإيطالية المنتظمة ومرمى القنابل والقذائف المستمرة وأخذ الماريشال جرازيانى فى تعزيز دفاعاته غرب الحدود ، ثم تقدمت عناصر قوية من سيارات القتال واتصلت بالقوات الإنجليزية يوم ١٥ سبتمبر حول بقبق فأجلتها عنها واستمرت فى الزحف بالطريق الساحلى واحتل طابوران سيدى برانى مساء ١٦ سبتمبر

وكانت القوات الإيطالية مكونة من فرقتين مدرعتين تعززهما مدفعية قوية ومشاة محملة فى عربات ومع هذا لم يجرؤ القائد الإيطالى على « البلتز كريج » الألمانى فيهجم هجوماً خاطفاً على مصر خشية أن تنهك قوى جنوده حين تصل إلى مرسى مطروح فزحف حتى بلغ سيدى برانى — وهى على مسيرة ١٠٠ كم من الحدود — وأخذ يثبت مراكزه و يعزز قواته متخذاً من هذه البلدة قاعدة حربية جديدة يستند إليها فى هجومه التالى على أن يزحف فى فترات متباعدة وفى مراحل قصيرة لا يزيد طول الواحدة منها على ٢٠ ك . م فينشىء فى كل مرحلة معسكراً منيعاً كما فعل فى « المقتيلة »

وعمد إلى تأمين جناحه الأيمن بإنشاء سلسلة من المعسكرات القوية

التحصين فى الحلفاية و بئر صوفانى ونبيوه وتمار بشكل دوائر محصنة أقيمت حولها المتاريس وأوكار الرشاشات وأمامها حقول الألغام ووراءها الأسلاك الشائكة وداخلها الجنود والأدوات والمواد وغيرها من وسائل التحصين والتسليح والتموين

وكانت خطة الإنجليز قد وضعت وفاقاً لمبدأ الحرب الصحراوية الذى يقول : إذا كانت الصحراء حليفتك فإن من الصواب أن تحمل خصمك على التوغل فيها قبل أن تصوب إليه ضربتك

وذلك بأن يكون خط الدفاع الأول فى مرسى مطروح ، فيضطر الجيش الإيطالى إلى أن يقطع المسافة إليها من السلوم — وطولها حوالى ٢٣٠ ك . م — فى صحراء مقفرة كثيرة الوعورة خالية من الماء ، فلا يبلغ هذا الخط حتى تكون قواه قد وهنت ، وابتعد عن قواعده فتعذر تموينه واستهدف لقنابل الطائرات وقذائف الأسطول على طول الطريق

ولما توقف الإيطاليون فى دفاعاتهم الجديدة وطال الوقت فى انتظار هجومهم أعطيت الفرصة للجنرال ويفل لزيادة قواته ومعداته والفراغ مما يلزم حملة كبيرة فى الصحراء . . وفى ليلة ٨/٧ ديسمبر بدأ هجومه الكبير

كانت خطة ويفل الاستيلاء على سيدى برانى والنفاذ من منطقة الدفاعات الإيطالية — التى أحدثت الدوريات ثغرة فيها — ثم التقدم إلى بقبق ثم السلوم على أن يكون الهجوم بموجات متتالية من الدبابات

تعاونها المشاة وكان على الأسطول أن يضرب مقتيلة فى الوقت الذى تهاجمها فيه قوات معينة فتثبت القوة الموجودة فيها وتمنعها من التعاون مع غيرها ولذلك قام الأسطول بضرب سيدى برانى والأراضى والأغراض الهامة وقامت الطائرات بغارات عنيفة مستمرة على مطارات العدو وقواعده ومواصلاته للسيطرة على أجواء المعارك .

وفى ليلة ٨/٧ ديسمبر قامت بعض القوات البريطانية من دبابات ومشاة تحملها السيارات فى هدوء وتكتم فاجتازت مائة كيلومتر وقبل أن يبزغ ضوء الشفق كانت الجنود رابضة فى الأرض لا تبدى حراكاً وقد اتخذت جميع الوسائل الفنية لإخفاء كل مدفع وكل سيارة وكل جندى وظل الهدوء والتكتم ضار بين على الميدان طيلة يوم الأحد وفى الليل استؤنفت حركة التقدم ، وبدأ الهجوم ببزوغ فجر ٩ ديسمبر هجوماً خاطفاً ومفاجئاً لم يجل لحظة بخاطر الإيطاليين . . فقد كانوا يعدون عدتهم لهجوم قريب يقومون به ، وكانت طائرات سلاح الجو لا تنقطع عن إغاراتها العنيفة ووحدات الأسطول تلقى قذائفها المدمرة .

وكان الجنرال الإيطالى ماليتى قد اتخذ نبيوه قاعدة لغزو مصر فأقام معسكراً محيطه نحو أربعة أميال حصّنه من الخارج بالألغام الأرضية ومن الداخل بمدافع ميدان من عيار ١٨ ط وبمدافع مضادة للدبابات وأخرى مضادة للطائرات ورشاشات آليه .

وفى الوقت الذى كانت الحاميات تقضى أعمالها العادية بدون أى

تفكير فى قتال قريب فوجئ الجميع بالحرب بين ظهرانيهم والدبابات على أبوابهم ، فانبعث فى قلوبهم الرعب عند ما دهمتهم القوات الإنجليزية وارتبكت خطة الدفاع ، وكانت المفاجأة تامة ، وما كاد الإيطاليون يأخذون بمهمة الدفاع حتى كانت الهزيمة قد دارت حولهم ، فتوقفوا وسلموا .

وتحركت دبابات الجيش تتقدمها غلالة من نيران المدفعية تحوى الدخان واجتازت الثغرة التى أحدثتها الدوريات الأمامية فى دفاعات العدو فكانت واقعة سيدى برانى موقعة دبابات الجيش وقد انتهت يوم ١١ ديسمبر وبلغ عدد الأسرى من الإيطاليين حتى ذلك التاريخ ستة آلاف أسير .

وكان مركز سيدى برانى والمراكز الحصينة المختلفة فى المناطق المجاورة تبدو كعقبات لا سبيل للتغلب عليها ولكن سقطت سيدى برانى وجميع المنطقة الساحلية .

وترك الإيطاليون مثلث سيدى برانى — مقتيلة — نبيوة وانتقلوا إلى مثلث السلوم — كابوتزو — البرديه ، وقد وقعت فى أيدى الإنجليز يوم ١٦ ديسمبر وتم الاستيلاء على مساعد وسيدى عمر وشيفرزن وهى من الحصون التى أقامها العدو على الحدود .

وترجع أسباب الهزيمة الإيطالية فى هذه الجولة إلى العوامل الآتية :

(١) إهمال أعمال الدوريات والاستطلاع ، وبذلك لم يستطع

الإيطاليون الحصول على المعلومات أو معرفة نوايا الإنجليز حتى فوجئوا بالقتال كما لم أنهم يعتنوا بمكافحة الدوريات الإنجليزية التى قامت بأعمال أكثر من الاستطلاع وأحدثت ثغرة فى خطوط الدفاع لم يمكن سدّها حتى تدفقت منها القوات الإنجليزية فى هجومها المظفر .

(٢) فقدان السيطرة الجوية ، فاستطاع الإنجليز امتلاك ناصية الجو والاستفادة من هذه الميزة العظيمة ، فالتفوق الجوى مهد للجيش الطريق لعمليات ناجحة وأيده بمساعدات فعالة .

(٣) إنزواء الأسطول الإيطالى مما جعل السيطرة البحرية فى أيدى الإنجليز فأمكن لأسطولهم مساعدة الجيش زيادة على نشاطه البحرى .

(٤) ضعف الأسلحة المضادة للدبابات وهى التى تتيح للمدافعين الثبات أمام القوات المدرعة ، أما الاعتماد على المواقع الصناعية فقد أخفق تماما ، وهذا ما عرفه الإنجليز وتجنبوه فمدافعهم المضادة للدبابات كانت سبب نجاح دفاعهم .

(٥) إرتباك الخطة الدفاعية بسبب المفاجأة التى تمت بهجوم القوات الإنجليزية فى مكان ووقت لا يفكر فيهما العدو .

(٦) ضعف الروح المعنوية وفقدان ميزة المبادأة وملازمة التردد للخطط الإيطالية مما نلاحظه فى أمثلة كثيرة خلال هذه العمليات

ففى أيام قليلة انهارت قوة الإيطاليين وتم جلاؤهم عن الحدود المصرية عدا أربعين ألفاً قدر لهم أن يحققوا رغبة زعيمهم فى الارتواء من ماء النيل ... ! ؟

سر تقدم الانجليز ...

في أسبوع واحد حطمت مجهودات ثلاثة أشهر

وأخلت القوات الإيطالية صحراء مصر وتراجعت بغير انتظام من مواقع محصنة كانت تظنها لا تقهر وكانت تعدها قاعدة لهجوم جديد .

ويرجع نجاح البريطانيين إلى دقة الترتيبات الإدارية وخدمات التموين ، والسيطرة الجوية الفعلية ، ومعاونة الأسطول ، واستخدام المفاجأة والمناورة بمهارة ، ونشاط الدوريات ، وهمة المهندسين فى رفع الألغام وإزالة الموانع ، وقوة دبابات الجيش التى كانت السلاح الحاسم فى معركة سيدى برانى . .

وقد قال الجنرال ويفل لجنوده المنتصرين وهم يتعقبون عدوهم :

« ستكون نتيجة القتال فى الصحراء الغربية من الحوادث الحاسمة فى الحرب وسيكون لانهزام العدو أثر لا يقدر ليس فى الشرق الأدنى وفى الموقف الحربى فحسب بل وفى مستقبل الحرية والمدنية فى العالم .. نحن متفوقون على العدو فى كل شىء إلا فى العدد . نحن أعلى تدريباً وأحكم رماية وأحسن عدة ، وفوق هذا وذاك لنا قلوب أقوى وتقاليد

أسمى ونقاتل دفاعاً عن قضية أعلى وأجدر . . فلنضرب بشدة »

وكان السؤال الذى يجول بالخاطر بعد تطهير الحدود المصرية من الإيطاليين هو هل تتقدم القوات البريطانية المنتصرة وتواصل الزحف فى برقة ، بعد أن تغيرت طبيعة الأرض التى أمامها فأصبحت تساعد العدو على مضاعفة جهوده فى المقاومة خصوصاً وقد كان يلوح أن الجنرال ويفل بعيد عن كل فكرة ترمى إلى اجتياح لوبيا وأنه يعمل فقط للدفاع وأن الماريشال جرازيانى كان قابضاً على دفة المبادأة . . ؟

وقد أجاب على ذلك الجيش الثامن فقد استمر فى هجومه بغير توقف مذللاً جميع العقبات التى فى طريقه إلى البردية ، وقد لبث محاصراً البلدة عشرين يوماً دون مهاجمتها لأنه عقب الانتصار الخاطف فى الصحراء والتقدم مائة ميل بعد الاستيلاء على سيدى برانى كانت هناك حاجة إلى استعداد جديد ، وكانت البردية تعد مفتاح الموقف فى لوبيا ففوق أنها حصن يشتمل على المستودعات الكبيره للمؤنة والمهمات الحربية يُسهِّل الاستيلاء عليها بعض مشاكل التموين، فإنها ستكون قاعده أمامية للزحف على البلاد الواقعة وراءها، كما أن استخدام الميناء يوفر نقل المؤن بالطريق الطويل الممتدة من مرسى مطروح وتصبح لها قيمة كبيرة عندما يأتى وقت الزحف إلى الأمام وإخراج قوات الإيطاليين من أفريقيا

وبدأت الدوريات الإنجليزية تستطلع الموقف فى البردية وتناوش استحكاماتها التى كانت تمتد إلى خمسة أميال مؤلفة من أوكار المدفعية

المضادة للدبابات ومخابىء الرشاشات ومن أسلاك شائكة وحفر وموانع وتجهيزات شتى قضى فى إعدادها ثلاث شهور ، كما كان الموقع الطبيعى للبردية حصيناً حيث الأرض صخرية تخترقها الأخاديد التى يحتمى فيها المدافعون كما كان وادى الجرفان فى الجهة الشمالية منها بمثابة سد طبيعى لإعاقة الدبابات

وقد مهد لفتح البردية بغارات جوية عنيفة بدأت فى ليلة رأس سنة ١٩٤١ بهجوم وصفته الأنباء بأنه « أعظم غارة فى الحرب ألقيت فيها القنابل » فقد مضت الطائرات أسراباً بعد أسراب طيلة الليل فألقت قنابلها كالمطر على البردية حتى أوهنت قوى دفاعاتها وأحدثت تصدعاً فى الحصون والاستحكامات وكان من أغراضها حمل الإيطاليين على الاعتقاد بأن الهجوم البريطانى بادىء فى الصباح فبقى الإيطاليون ينتظرون مجىء ذلك الهجوم فلم يجىء وراحت الطائرات ليلة ٢ / ٣ يناير يناير تضرب البردية ضرباً متواصلا حتى إذا انبثق ضوء القمر شاركتها وحدات الأسطول فى ضرب الاستحكامات فبعث المدافعون طائراتهم من قاذفات القنابل لمهاجمة الأسطول فردتها نيرانه خاسرة ، وأخذت المدفعية الإيطالية فى جنوب البردية تطلق نيرانها الشديدة على وسائل المواصلات البريطانية وكان الضرب مركزاً عنيفاً ولكنه قلما كان دقيقاً ، وأخذت قاذفات القنابل البريطانيـة تتابع أعمالها التدميرية فوق تحصينات البردية ومن حولها طائرات القتال التى كانت تحمى سيارات

الاتصال ، ولم تبد مقاومات تذكر من الطيران الإيطالى

وقد أفاد الإنجليز من دورياتهم أجل الفائدة إذ لا يشغل بال المهاجم شىء أكثر من حصوله على المعلومات الصحيحة عن أوضاع العدو ونواياه وهو لا يستطيع أن يضع خطته دون أن يكون أساسها قائماً على شىء من المعلومات الحيوية وبذلك يستطيع أن يعيّن أفضل منطقة للهجوم وأسلم طريقة لتنفيذه وأنسب وقت للحصول على المباغتة.. فعامل الوقت أساسى فى الحرب ، وهو فى حرب الصحراء شىء لا يمكن حصر ميزاته ، كما أنه لا يمكن الحصول على أى نجاح قبل الاستطلاع الكافى والتحضيرات المعتنى بها والبت فى أنسب الأوقات ليمكن مباغتة العدو وتدمير خطته .

ولا ينسى فى هذا الدور مجهود فرق المهندسين ونهوضها فى وسط الأخطار الماحقة إلى موانع الأسلاك الشائكة لإزالتها وتدمير أشراك الدبابات وسد الفجوات وتدمير المواقع المنيعة مما ساعد على إحداث ثغرتين فى التحصينات الخارجية فتقدمت فرقتان بريطانيتان من الوحدات الميكانيكية واخترقتا الاستحكامات واستطاعتا مع المشاة الاسترالية أن تدور حول وداخل خطوط الدفاع وأن تبيد من الخلف المواقع الأمامية ، وفى الوقت نفسه أخذت وحدات الفرنسيين الأحرار وفرقة ميكانيكية بريطانية تحول دون تحرك العدو من الشمال وقد قاوم الايطاليون أولاً مقاومة عنيفة ولكنها تراخت بعد قليل بل

انهارت فاخترقت التحصينات بعد خمس ساعات فقط وتم تطويق البردية من الشمال والغرب مما سهل تنفيذ الهجوم .

وبعد ظهر ٥ يناير كف العدو عن كل مقاومة وسقطت البردية مع جميع القوات التى كانت تدافع عنها وجميع المؤن والمعدات الحربية وأخذ الجنرال برجونزولى قائد الحامية وعدد من ضباط أركان الحرب أسرى .

ويرجع انتصار الاستراليين إلى الاستعدادات الميكانيكية ومهارة الدوريات فى أعمالها الاستطلاعية وتسللها إلى التحصينات الإيطالية والوقوف على أوضاع المدافعين وتجهيزاتهم بالتفصيل، كما أن معركة البردية كانت أوضح صورة للتعاون الوثيق لقاذفات القنابل وطائرات القتال والوحدات الميكانيكية وقوات الأسطول فأمكن تحطيم الحلقة الحديدية من التحصينات المقامة حول البلدة المنيعة فى ستة وثلاثين ساعة فقط .

واستمر الزحف غربا .

وكان الطريق البردية — طبرق .

وتقع طبرق على بعد ستين ميلا غربى البردية ولها ميناء صالحة لرسو السفن والطرادات الصغيرة ومنذ وقعت البردية فى أيدى الإنجليز كانت دورياتهم تخرج للاستكشاف وجمع المعلومات عن الاستحكامات التى كانت تتكون من خطين الأمامى منهما يبلغ ثلاثين ميلا والثانى ١١ ميلا وبهما فخاخ للدبابات وأوكار للمدافع والرشاشات وأسلاك شائكة حول الأطراف الخارجية .

وفى فجر ٢١ يناير بدأ الهجوم الرئيسى على طبرق ونجحت قوات

الإمبراطورية تؤيدها سفن الأسطول والطائرات البريطانية فى اختراق الخطوط الخارجية والداخلية من الاستحكامات .

وكانت العواصف الرملية الكثيفة تكتسح الصحراء باستمرار فى هذه المرحلة فأعاقت التقدم وكان الجنود يتحركون وسط سحب صفراء من الغبار كانت الرؤية لا تزيد فيها فى بعض الأحيان عن عدة أمتار .

وهجمت القوات البريطانية والفرنسية من جميع نواحى قوس الاستحكامات التى كانت تحيط بطبرق والذى يبلغ طوله ٢٠ ميلاً وقام سلاح الطيران بمساعدات قيمة للقوات الهاجمة فأسكتت قاذفات القنابل مدفعية الايطاليين كما كانت طائرات القتال تقوم بداوريات الاستكشاف .

وقاومت قلعتا سولاغو وأبريت فأسكتتهما المدفعية قبل أن تهاجمهما القوات الاسترالية المؤيدة للدبابات وكانت قوة طبرق فرقة كاملة غير الحامية الدائمة

وسقطت طبرق بعد مقاومة ثلاثة أيام ووقع نحو ١٤ ألف أسير مع عدد من القواد فزاد ذلك من ارتباك خطط الايطاليين وعجزوا عن التمسك بالأرض والدفاع الحقيقى ، وكان التقهقر مضطرباً لا أثر فيه للفن الحربى أو عمليات التعطيل وجهود المؤخرة مما جعل عمليات المطاردة سريعة ميسورة فوصل الإنجليز بغير عناء إلى درنه قبل أن تستعد لدفاع يصد عنها التيار المندفع نحوها .

وتقع درنة على بعد ٩٠ ميلا غرب طبرق وترتكن على الساحل على حافة وادى ترتفع الجبال خلفه إلى مسافة تبلغ ٨٠٠ قدم ولم يكن للمدينة خلف أسوارها القديمة سوى القليل من مهيئات الدفاع وقد نصبت فيها بعض المدافع الساحلية والمدافع المضادة للطائرات .

وزحف المشاة الاستراليون بسرعة نحو موقع الأسلاك التى كانت تحيط بالاستحكامات الخارجية وأتموا اجتيازها وكانت حامية درنة مكونة من ١٠٠٠٠ جندى فدافعت دفاعاً قوياً لم يره البريطانيون منذ بدأ زحفهم .

وسقطت درنة صباح ٣٠ يناير بعد زحف ١٧٠ ميلاً فتم بذلك الاستيلاء على ثالث مدينة محصنة وكانت توجد فيها المياه العذبة بكثرة ويمكن الاستفادة من مينائها .

وكانت القوات البريطانية قد نظمت فى قسمين عقب الاستيلاء على طبرق فاتخذ القسم الأول طريق الساحل وأخذ درنة وسار القسم الثانى غرباً نحو بمبة والمخيلى وكان مؤلفاً من وحدات مصفحة ميكانيكية إذ كانت الخطة أن يسير الإستراليون نحو بنى غازى على الطريق الساحلى لمهاجمتها من الأمام بالمواجهة بينما تدور القوات المدرعة حول مؤخرة العدو لقطع خط رجعته والفتك بقواته المتقهقرة وهذا هو الواجب الأساسى للقوات المدرعة فى مثل هذه العمليات .

تقدمت القوات المدرعة فى طريق المخيلى بعد سقوط درنة وهاجمت

القوات الإيطالية المدرعة التي أخذت بطريق الانسحاب وبدأ التقدم نحو بنغازى فى طريق شاقة تبلغ ١٥٠ ميلا وكان الأمر يتطلب تجهيزات عديدة للسير فى هذه المرحلة المجهدة بعد أن طالت خطوط المواصلات طولاً لم تعرفه الحملات الحربية من قبل وبالنسبة لتنظيم خدمات التموين ومهمة إمداد وشد أزر قوات كبيرة وسط صحراء مقفرة بعد ما بذلت من مجهود وما لاقت من متاعب شداد

وعلى طول الطريق المديدة الموحشة كانت العواصف الرملية تتراقص فى الصحراء والأرض تزداد صعوبة ووعورة تنفد الأمل وتقعد عن العمل ولكن الجنود كانوا ظمأى للحاق بالعدو وإفساد خطته ، يسرعون لكسب ميزة السبق فقد كانت تلك معركة السرعة والصبر والتحمل والعزيمة والروح الهجومية .

ففى يوم ٤ فبراير بدأ التقدم أو بدأت المعركة مع الأرض فالمركبات تغور فى الرمال أو تصطدم بالصخور أو تدور حول بقاع لا يمكن اجتيازها فى ساحة موحشة خالية من العلامات والتحديدات تبعث على القلق والشكوك . . وأخيراً ظهرت قلعة مسوس وتم احتلالها بغير مجهود كبير وفى اليوم التالى ظهرت طريق بنغازى فى مكان لم يصله العدو بعد ووضعت خطة دقيقة لمفاجأة الايطاليين عند تقهقرهم وذلك بعدم إشعارهم بخطورة خط الرجعة فمنعت طائرات الاستكشاف من التحليق وكسب الإنجليز السباق ووصلوا إلى الطريق قبل أن يصل الانسحاب الإيطالى

إليه وكانت المفاجأة تامة إذ لم يتوقع العدو أن يصل الإنجليز إلى هذا المكان وفى هذا الوقت !

وأقبلت القوات الإيطالية المتراجعة فقوبلت بنيران قوية من المدفعية فارتبكت خطة الانسحاب وتوقفت العربات والدبابات وحاملات المدافع وسيارات الجنود مما كان يغطى ١٠ أميال من الطريق وإذا بالقوات الإيطالية بين فكى الكماشة ووقعت فى مكان لم تكن تتوقعه على الاطلاق بعد انسحابها من بنغازى .

وحدثت معركة رهيبة حقاً بسبب ما كان فيها من قوات متكافئة ووحدات ميكانيكية ومدفعية قوية فى الطرفين، وتبادل الفريقان زمام الموقف أكثر من مرة ثم دخلت قوات إنجليزية جديدة إلى المعركة فاستقرت كفة الميزان نهائياً وحاول الإيطاليون كثيراً شق طريق يمرقون منه فلم يسعفهم الموقف على النجاح ثم هجمت الدبابات الإيطالية هجمة أخيرة فأخفقت وأخيراً هدأ الموقف الحربى وصدر بلاغ إنجليزى يقول : إن قوات العدو قد سحقت تماماً .

هذه كانت معركة بيدافوم وقد حدثت بين قوتين مجهدتين غير مستعدتين لمعركة كبيرة وكانت الكفة الإيطالية راجحة بكثرة العدد ولكن الكفة الإنجليزية كانت راجحة بقوة العتاد ولذلك تأرجحت الكفتان طويلاً ثم حدث الاستقرار بفضل الروح المعنوية والقيادة

الحسنة ونشوة النصر الذى دارت كؤوسه على طول الطريق من البردية إلى بنغازى .

أما القوة الأخرى التى تقدمت من طبرق واستولت على درنة فلم تعط العدو فترة الراحة وظلت تدمر مواصلاته وتزيد تراجعه اضطراباً فلم يحسن الدفاع عن بنغازى ولم يأت صباح ٦ فبراير حتى كانت المعركة قد اختتمت بتسليم المدينـة ووقوع ولاية برقة بأسرها فى أيدى الإنجليز .

وهكذا تم قطع ١٥٠ ميلاً فى أسبوع واحد وهو عمل من الأعمال العسكرية الطيبة .

وكانت بنغازى مقر قيـادة المريشال جرازيانى ومركز قاعدته الحربية وكانت حاميتها وحدها ٣٠٠٠٠ جندى .

وفى ٢١ مارس سلمت جغبوب وكان قد اكتفى بمحاصرتها بعدد قليل من الجنود حتى تسقط من تلقاء نفسها .

وبذلك حدث فى أقل من شهرين اكتساح الجيوش الإيطالية واستعادة الصحراء المصرية ، واجتاز الجنرال ويفل ما يقرب من ٤٠٠ ميـل ضد عدو مكوّن من إحدى عشرة فرقة مجهزة بجميع معدات القتال الحديثة وفى مواقع أعدت بعناية للدفاع والهجوم خلال شهور سابقة وتم تحطيم أربع مواقع رئيسية بأقل خسائر ممكنة وأخذ سيدى برانى وطبرق والبردية و بنغازى والاستيلاء على ولاية برقة كلها .

ولعل أحسن وصف لما حدث هو ما جاء فى بيان مستر تشرشل عند ما أبلغ مجلس العموم والشعب البريطانى والأمم المتحدة أنه « فى خلال ثمانى أسابيع حدثت تلك الحملة التى ستدرس فيما بعد من أمثلة الفن العسكرى ، فالجيش الإيطالى فى ليبيا البالغ مائة وخمسون ألفاً قد أسر أو أبيد ووقعت فى أيدينا ولاية برقة . »

أما عن أسباب النجاح فقد ذكر أنه لم يكن فى الإمكان نجاح الحملة لولا سيطرة الطيارين البريطانيين على الموقف ولو لم يطارد الأسطول الإنجليزى مراكب الإيطاليين ويلجئها إلى موانيها ويقدم للجيش المساعدات الفائقة .

وخصّ الجنرال ويفل بوصف يناسب العملية العظيمة التى وضع تصميمها وأشرف على تنفيذها فقال عنه « إنه من رجال الحرب ذوى الحصافة والصبر والجسارة والإقدام »

الألمان فى الميدان

تقول المصادر الإنجليزية أنه لم يكن مقدراً بادىء الأمر احتلال إقليم برقة بأكمله ولكن القيادة البريطانية لم تحجم عن هذا الإجراء عند ما قررت اللحاق بالقوات الإيطاليـة وتدميرها والاستيلاء على ما لديها من أسلحة ومعدات ، ولذلك استمر تعقبها بغير عناء كبير حتى تم الاستيلاء على بنغازى والعقيلة واكتسحت برقة ، وأصبحت المواصلات البريطانية تمتد مئات الأميال فى أراض قاحلة غير معززة بمراكز حصينة يمكن الاعتماد عليها فى عمليات دفاعية ، كما زادت مشكلات التموين صعوبة وكلفة .

وقد لوحظت حركة نشاط كبيرة للمحور فى البحر الأبيض ، وعلى الرغم من وقوف الأسطول البريطانى وتفرغه لمنع الإمدادت عن لوبيا وسد طريق إرسال المؤن والجنود والمهمات من إيطاليا وصقلية إلى طرابلس و بنغازى فقد استخدمت المياه الإقليمية الفرنسية ووصلت قوات محورية كبيرة .

وكان للهزائم الإيطالية المتلاحقة أثر خطير فى إيطاليا فحدثت حركة تطهير وتغيير فى القيادة فعزل الماريشال جرازيانى ووصلت إلى إفريقيا

قوات ميكانيكية المانية لتدعيم القوات الإيطالية وتولى القيادة العامة الجنرال ڤون رومل ، فارس القوات المدرعة و بطل عمليات الاختراق فى بولندا وفرنسا .

ذلك فى الوقت الذى واجهت فيه الإمبراطورية البريطانية أحداثاً عنيفة فى البلقان واليونان اللذين دهمهما المحور كذلك حوادث الشرق الأوسط فوجد الألمان الفرصة المناسبة لمساعدة حلفائهم فأرسلوا حملة ألمانية إلى طرابلس لوقف زحف الجنرال ويفل وبذلك يضمن إيقاف نشاط الإنجليز عن الميادين الأخرى .

وكان أمام القيادة والحكومة تقرير أحد أمرين : الاستمرار فى مطاردة العدو حتى تونس أو إرسال مساعدة فعالة لليونان تنفيذاً للتعهدات التى ارتبطت بها بريطانيا فرجحت الضرورة الثانية وسحب من جيش ويفل قوة يعتد بها فأصبحت قواته أقل مما يحتاجه الموقف فعزم على عدم التقدم مكتفياً بتثبيت العدو أمامه .

ثم بدأ المحور زحفاً شديداً استُخدمت فيه الدبابات الألمانية بجسارة لم تعرفها القوات الإمبراطورية من قبل فارتدت توًّا منسحبة من أجدابيا ، ورأى الجنرال ويفل أنه مضطر لإخلاء بنغازى بسبب شدة الهجوم الألمانى واستحالة الدفاع عنها ورأى أن يتراجع حتى يجد المكان والوقت المناسبين للثبات وللكر بهجمات مضادة خصوصا

وقد بعدت قوات المحور عن قواعدها أكثر من ٤٣٦ ميلا من طرابلس إلى بنغازى .

وتقدمت القوات الألمانية المكونة من الدبابات والوحدات الميكانيكية وجنود المشاة المحملة فى عربات تشد أزرهم الطائرات الألمانية المتفوقة ، وحدث قتال عنيف فقد الإنجليز فيه ألفى أسير كما وقع ثلاثة من القادة العظام فى الأسر وهم الجنرال سير رتشارد أكنور ساعد ويقل الأيمن والجنرال نيوم والجنرال جامبير وهم الذين قادوا الأعمال الحربية فى إفريقيا وكانوا ممن تحملوا وضع الخطط الحربية الدقيقة وتولوا قيادة القوات التى نفذت هذه الخطط .

ولم تفطن القيادة الإنجليزية إلى غرض رومل ولم يجل بتفكيرها أنه يجرؤ على قطع هذه الفيافى الشاسعة فيمد خطوط مواصلاته ويتعرض لأخطار الصحراء ومشكلات التموين والإعاشة والتصليحات فوق ما يحتاجه غزو مصر من استعدادات هائلة ومد خط من الأنابيب لحمل نهر صناعى إلى الأمام مع الجنود ولم يزد اعتقاد القيادة الانجليزية فى شىء أكثر من أن رومل يحاول القيام بمناورات يحول بها دون إرسال الإمدادات إلى اليونان ويصل بها إلى التمكن من جلب قوات كبيرة من إيطاليا وصقلية ولكنه فاجأهم بهجوم خاطف واندفع فى طريقه إلى قلب الصحراء .

فلما ظهر أنه شارع فى هجوم كبير رأت القيادة البريطانية الانسحاب

صوب الشرق مع القيام بأعمال المؤخرة ريثما يتم الانسحاب إلى مراكز الدفاع فى شرق الجبل الأخضر .

وزحف رومل بقوة مناسبة عن طريق الساحل لطرد الانجليز بينما اتجهت قواته المدرعة عن طريق الصحراء جنوب الجبل الأخضر وهى عملية شاقة تعد مغامرة أكثر من خطة حربية ، فكانت حركة عكسية فى طرقاتها شبيهة فى فكرتها بما فعله ويفل أثناء تقدمه نحو بنغازى .

وأتاحت معركة المخيلى لرومل تنفيذ خطته والقيام بعمليات سريعة حاسمة هى (البليتز كريج) الذى اتبعه الألمان فى أوربا، وقد كان له التفوق فى الدبابات والسيارات المصفحة وميزة المبادأة مما يقرر الأمر فى حرب الصحراء . . وقد حدثت عدة أخطاء من القيادة الانجليزية لم يكشف الغطاء بعد عن تفاصيلها ولكن مستر تشرشل ذكر أن بعض الأخطاء قد حدثت مصحوبة بسوء الطالع فوقع الارتباك فى صفوف القوات الإنجليزية فارتدت بسرعة ، وقد لمّح أيضاً لفقد القواد الانجليز فى بداية المعركة وعزا ذلك « لتحركات شخصية لم تكن ضرورية »

انتقل الحذاء من قدم إلى قدم وهجرت المبادأة قوماً إلى قوم وأخذ روملِ يسيطر على الموقف فلما بلغ عنتيلاب انفصلت فرقه إلى قوتين اتجهت إحداهما فى الطريق الساحلى نحو درنة فطبرق للاستيلاء على هذه المراكز القوية التى تصلح أن تكون قواعد هجوم متوالية وخصوصاً طبرق بينما اتجهت القوة الأخرى نحو بير حكيم حيث انفصلت إلى قوتين

اتجهت إحداها نحو المخيلى بحركة سريعة قوية بفكرة الانضمام للقوات الموجهة لمهاجمة طبرق واتجهت الأخرى نحو الحدود المصرية للاستيلاء على السلوم وغيرها من المواقع الرئيسية

وكانت السرعة التى تتقدم بها القوات الألمانية محل قلق شديد على على مصير القوات الإنجليزية ومعركة مصر وبذلك حدث ما تنبأ به مستر تشرشل قبل أسبوع إذ توقع قتالاً شاقاً عنيفاً لا فى الدفاع عن برقة فحسب بل فى الدفاع عن مصر أيضاً

ففى ١٣ إبريل أحرز الألمان نجاحاً فى منطقة الغزالة والبردية وفى ١٤ منه مرت القوات الألمانية بطبرق التى دافعت بقوة وصمدت للهجمات العاتية فتركها روميل محوطة بقوات كافية من جنوده ولم يضع الوقت عبثاً فليس للمدن قيمة فى حرب الصحراء ولكن المهم هو اللحاق بالقوات الرئيسية للعدو ومعالجتها بالضربات الشديدة أينما اتجهت ، وقد نجحت قولاته الأخرى فى كل ما كلفت به وتراجعت القوات الإنجليزية أمام هذه الحملات العنيفة بينما دخلت فرقة ميكانيكية إنجليزية طبرق وساهمت مع حاميتها فى أعمال الدفاع ، أما القوات الباقية فانسحبت إلى داخل الحدود المصرية

وبذلك تم فى أسبوع واحد قطع هذه المسافة الطويلة من بنغازى إلى السلوم بعد معارك دامية وانسحاب سريع وصفه مستر تشرشل

بأنه كان « هزيمة مكدرة فقد زحف الألمان بقوة أكبر وسرعة أعظم مما كان يقدّره قوّادنا »

أما طبرق فقد ظلت محاصرة وبذل الألمان جهوداً متعددة فى فترات مختلفة لاختراق إستحكاماتها ولكن بدون جدوى وكانت جميع الظروف فى صف حماتها إذ كانت تجد كفايتها من الماء، ويموّنها الأسطول، ويمكن استبدال رجالها بغيرهم وإمدادها من البحر، ومن الناحية الثانية كان الألمان فى شاغل نسبى عنها بتعقبهم للقوات الأساسية، وكانت نقط المياه بعيدة عن طبرق عدة أميال . . فكل هذه العوامل زيادة على التحصين الطبيعى لطبرق قد مكنها من الصمود فبقيت حربة قوية مصوبة تهدد جنب مواصلات المحور الذى لم يكن فى مقدوره التغاضى عن أهميتها والإيغال طويلاً بعيداً عنها — فأعطى ذلك فرصة للجنرال ويفل مكّنته من إعادة تنظيم قواته وتثبيت أقدامها وانتظار النجدات

ولا يصح أن نمر بهذا الفصل من الحرب دون أن يذكر سلاح الطيران البريطانى وما بذله من مجهود رائع فى القيام بأعمال عظيمة فى ضرب مطارات العدو ومعسكراته وإلقاء القنابل على خطوط المواصلات المديدة وتعطيل الزحوف الألمانية ومهاجمة القوافل البحرية وحماية الأسطول ومقاتلة طائرات المحور والفوز بالسيادة عليها فى هذه المرحلة الخطيرة المهددة لكيان القوات الإنجليزية

وفى السابع عشر من ابريل وصلت القوات المحورية إلى السلوم

ولكن تراخت قوة الهجوم وكان لزاماً أن تحدث وقفة بعد هذا المجهود المضنى و بعد مسيرة ٧٠٠ ميل فى عمليات حربية شاقة وعاد الانجليز إلى قواعدهم آمنين إلى خطوط مواصلاتهم البرية والبحرية فتمسكوا بالأرض وأوقفوا الزحف .

وأخذت الإمدادات من الرجال والأسلحة تصل إلى الجنرال ويفل بدون انقطاع حتى أصبح رهن تصرفه ربع مليون جندى فى شهر مايو ٤١ وكانت فترة الهدوء قد طالت ولو أن نشاط الدوريات والطائرات كان عظيما .

وبدأ رومل مناوراته التى يحذقها فأجهد القيادة الانجليزية ، ففى ١٢ مايو حرك خمس قولات فى عملية غير معهودة فى الفن الحربى خالية من مبدأ التعاون لارابطة بين فروعها ودون أن يكون لها خطوط ثابتة للتموين ، واستخدم فى ذلك نحو مائتى سيارة وألقى بقواته فى ثلاث ساحات بمواجهة خمسين ميلاً من البحر إلى الجنوب فزحف القول الأول من طريق الساحل المؤدى إلى سيدى برانى لمهاجمة المراكز الدفاعية الأمامية وتحول القول الثانى من المرتفع حول البحر واتجه جنوباً فوقف فى جبهة موازية للسهل الساحلى وهبط القولان الثالث والرابع المنحدر واجتازا الحدود المصرية غربى السلوم وحاول القول الخامس الالتفاف حول القوات الانجليزية — وبعد مناورات شتى انسحبت هذه الطوابير بعدد من الأسرى وبعد تصويب ضربات لها قيمتها .

وفى السادس عشر من مايو قام الجنرال و يفل بهجمة مضادة صاحبها التوفيق فاحتل الساوم ومساعد وحلفاية وكان استرداد هذه المراكز ذا أهمية حربية تمكنه من القيام بأعمال أخرى ولكن قبل أسبوعين عاد هجوم الألمان بصورة أقوى فانسحب الانجليز من حلفاية وتقدمت أربعة طوابير ألمانية الأول منها يشتمل على عدد من الدبابات وراكبى الموتوسيكلات من كابوتزو على طول حافة المنحدر الموازى للبحر من اتجاه ممر حلفاية فردوا القوة البريطانية التى تصدت لهم وزحف طابوران مصفحان من كابوتزو جنوباً لتغطية جناح القوة الأولى اليمين واستمرت المعركة طول الليل أما الطابور الرابع فكانت مهمته محصورة فى مساعدة القولات الثلاث وبذلك تمكن الألمان من الحصول على مراكز تحمى جناحهم الأيمن وخطوط مواصلاتهم من هجمات الدوريات الانجليزية .

واستمر الموقف على هذا الحال بين نشاط الدوريات الانجليزية ومناورات القولات المدرعة الألمانية وهجمات الطائرات من الناحيتين وكانت هذه المرحلة مرحلة شدة وقسوة وتهديد متواصل واحتمالات متباينة وقد ذكر مستر تشرشل الحالة فى ذلك الوقت فكان مما قاله « سنرى هل ارتكب الألمان خطأ فى محاولتهم غزو مصر ؟ .. أننى لا أحاول أن أجعل من الهزائم نصراً ولم أقلل قط من قيمة الألمانى كرجل حرب ، ولا أستطيع أن أتكهن بما سيكون من أمر الموقف العسكرى فى ليبيا فأمامنا خصم جرىء ماهر — هل لى أن أقول أنه قائد عظيم .. »

كننجهام — كوننجهام — كننجهام

بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحرب بما حدث من الإلقاء بالجيوش النازية فى معمعة الحرب الروسية وبما حدث فى الشرق الأوسط من انضمام سوريا والعراق إلى قضية الحلفاء وإيجاد صلة بين القوات الإنجليزية والروسية عن طريق إيران . . كل ذلك قد غيّر وجه الموقف الحربى .

وكان لزامًا على بريطانيا أن تضرب ضربة ما مستفيدة بما جاء فى صالحها من الحوادث مسدية المساعدة لحلفائها فأعدت العدة لطرد قوات المحور وتدميرها فى شمال أفريقيا فبقيت خمسة أشهر أو يزيد تزيد معدات قواتها فى صحراء مصر وتمدها بجميع الأسلحة التى أظهرت أثرها فى الحرب الجديدة خصوصاً وأن الأحوال الحربية فى الصحراء غير عادية فلا يتيسر القيام بهجوم سريع حاسم بعيد المدى إلا باستخدام الأسلحة المدرعة والقوة الجوية المتفوقة والوحدات الميكانيكية المدربة .

وقد سبق جميع ما صنع من الترتيبات تغيير القيادة الإنجليزية فى الشرق الأوسط فولى أمرها الجنرال سير كلود أوكنلك وتولى قيادة

الجيش الثامن الجنرال سير ألان كننجهام ، والقوات الجوية مارشال الطيران سير أرثر كوننجهام وأسندت قيادة الأسطول فى البحر الأبيض للأميرال سيرأندرو كننجهام .

وفى فجر اليوم الثامن عشر من نوفمبر ١٩٤١ شرعت القوات الإمبراطورية تشد أزرها أسراب من سلاح الجو الملكى فى القيام بزحف عام نحو برقة يمتد من الشاطىء الشرقى للسلوم متجها نحو الجنوب حتى واجه جغبوب وكان التسلل إلى مناطق الحشد معبراً عن مهارة فائقة كما كانت الترتيبات التى وضعت لخداع العدو وستر التحركات وتوزيع القوات ترتيبات محكمة .

وتوغلت القوات الإمبراطورية نحو خمسين ميلا فى ليلة ممطرة دون أن تلقى معارضة تذكر من جانب العدو الذى فوجىء بهذه الحركة بينما كانت قواته موزعة ثلاث فرق مدرعة خلف خط حلفاية — سيدى عمر وفرقتان ألمانيتان بين البردية وطبرق وفرقة إيطالية جنوب طبرق .

وقام سلاح الطيران بحركة انقضاض قوية على مراكز العدو باغارات شاقة استمرت ١٢ ساعة ضربت فيها مراكز المحور بعد أن ظلت الطائرات شهوراً وهى تهاجم مواقعه ومطاراته وشرايين مواصلاته ومستودعات المؤن والوقود والأرصفة وأحواش البضائع كما أخذت سفن الأسطول تضرب حلفاية وتشدد ضغطها المتواصل على الخطوط الدفاعية

وبدأ الزحف على صورة قوس طرفاه السلوم وجغبوب فضغطت القوات الإنجليزية على المواقع المنيعة للعدو بين ممر حلفاية وسيدى عمر بينما كانت الوحدات الميكانيكية المدرعة تؤيدها جنود نيوزلندا وجنوب أفريقيا وجنود الهند قد اجتازت الحدود جنوبى سيدى عمر .

ولا بد أن القيادة الانجليزية قد بنت تصميمها على أساس تدمير قوات العدو المسلحة وخصوصاً وحداته المدرعة ورفع الحصار عن طبرق وتحسين الموقف بما يضمن الاستعداد للدفاع عن مصر فهذه المعارك التى حدثت بعد قليل كانت لهذه الأغراض ولم تكن لاحتلال موقع حصين أو الاستيلاء على منطقة من الأرض أو التقدم فى صحراء خالية .

وقد أسفرت العمليات الأولى عن احتلال الانجليز لسيدى رزق وطرد القوات الإيطالية المصفحة منها وحدثت عدة معارك بين الدبابات كانت شيئاً جديداً فى فن الحرب فقد أصبح الميدان ملعباً تجرى فيه القوات هنا وهناك وتدور فتتلاقى ثم تفترق وتعود فيضرب بعضها بعضاً وكان من المعارك القوية التى حدثت تلك المعركة بين الدبابات يوم ٢١ نوفمبر فى المثلث الواقع بين حصن كابوتزو — قبر صالح — سيدى رزق وقد تناولت منطقة واسعة واستمرت طول النهار فانتهز الجنرال كننجهام هذه الفرصة التكتيكية السانحة ودخل بقواته الرئيسية المدرعة بين الحشد الأكبر للدبابات الألمانية فى الناحية الشرقية و بين الحشد الأصغر منها فى الناحية الغربية وحاولت الدبابات الألمانية محاولات متعددة

أن تشق طريقها . . وهكذا استمرت المحاولات تتوالى بغير نتيجة حاسمة والقوات تتلاقى وتتضارب بدون معركة نهائية .

وحاولت حامية طبرق تؤيدها قوات هامة من الدبابات التى أرسلت تدريجياً فى مدى عدة أسابيع بفضل الأسطول أن تنضم إلى القوات الزاحفة من سيدى رزق فى الوقت الذى كان القتال سجالا أمام مراكز الألمان الحصينة بين حلفاية وسيدى عمر فكان الميدان ساحات متعددة متنقلة يتجاذب فيها الطرفان حبال الفوز وأزمّة الموقف .

ومن ذلك ما حدث فى سيدى رزق وقد تبادلها الفريقان عدة مرات حتى استقرت أخيراً فى أيدى الإنجليز

أما خطة الإنجليز فكانت الاشتباك بقوات المحور فى منطقة السلوم لتثبيتهم بينما تتحرك القوات المدرعة من الجنوب لتدور حول أقصى مواقع دفاع المحور لتهديد ظهر الألمان ومواصلاتهم فإذا تم نجاح هذه العمليات تحركت حامية طبرق لتتصل بها القوات المتقدمة لفك حصارها و يشترك الجميع فى هجوم عام نحو الغرب

وقد نجحت المراحل الأولى فى طريق تنفيذ هذه الخطة ووصلت القوات الإنجليزية إلى مشارف البردية واقتربت قوات غيرها من منطقة طبرق فوقفت أمام حقول الألغام وقابل الجنرال روممل هذه الحركة بسحب فرقه المصفحة من بداية الهجوم وألف منها خطاً فولاذيا فى الجنوب الشرقى لطبرق لمنع القوات الإنجليزية من الإتصال بحاميتها وقد

عمد أولاً إلى خداع الإنجليز بحشد قوة من الدبابات شمال سيدى عمر لتحمى قواته المدرعة الموجودة فى الجنوب فشغلتهم هذه الحركة عن فعلته الأصلية وهى سحب الجزء الأكبر من قواته لسد طريق طبرق

واستولت القوات الهندية على سيدى عمر وراحت تتدخل فى مؤخرة المراكز الدفاعية بين حلفايه وسيدى عمر بينما واصلت القوات النيوزيلاندية زحفها من غرب سيدى عمر إلى سيدى عزيز وكابتزو حتى بلغت جمبوت واحتلت البردية

بذلك أصبحت السلوم وممر حلفاية فى معزل

وفى يوم ٢٣ نوفمبر قام المحور بكرات عنيفة بالدبابات لعزل القوات الإنجليزية الزاحفة على معاقل طبرق ودفعها جنوباً وفى الوقت الذى كانت فيه دبابات المحور متجمعة فى شكل نقط قوية على بعد ٢٠ ميلا جنوب طبرق وتبدأ الزحف شرقا ، أخذت فرقة أريتى الإيطالية للدبابات التى كانت تحوم حول بير الغبى تتقدم أيضاً فى الاتجاه نفسه منحرفة نحو الجنوب

ودارت حرب دموية ولكنها لم تسفر عن نتيجة حاسمة وقد تراجع الألمان ثم هجموا ثانية فى الصباح وعادوا إلى قذف القنابل المحرقة التى أشعلت النار فى الدبابات البريطانية

ثم فترت معركة الدبابات بسبب شدة خسائر الفريقين وشرع المشاة يتقدمون من الجانبين ويشتبكون تدريجياً ودار القتال بالسنا كى فى

ملحمة كبيرة مائعة اختلطت فيها جموع غفيرة كثيرة التحرك والتنقل من الرجال والآلات التى اشتبكت وسط عواصف الغبار فى جوار سيدى رزق

هذا بينما كانت الفرقة الخامسة الهندية تقترب من أوجلة (٢٠٠ ميل ج . غ طبرق ، ج . ش بنغازى) وهى واحة كان يحتلها الإيطاليون فاستولت عليها ثم استولت على واحة جالو .

وعاد تقدم الإنجليز فى محاولة ثانية نحو طبرق فكان على الألمان أن يبذلوا كل جهد لإيقافها وأن يحولوا بما لديهم من الجرأة وسعة الحيلة والمرونة دون زحف الجيش الثامن فأقاموا على جناح السرعة خطوط دفاعهم فى المناطق الواقعة بين بير الغبى وسيدى رزق وطبرق وحشدوا قواتهم فى اتجاه الجنوب دون أن يعززوا خطوط دفاعهم الجديدة بقوات كبيرة ثم اندفعوا بأكبر قوة من الدبابات جنوباً والتفوا حول الجناح الأيسر ثم ساروا بأقصى سرعة فى اتجاه الحدود المصرية

وتكررت محاولات النفاذ وسط المراكز البريطانية حول سيدى رزق واستمر القتال ناشباً وفى ليل ٢٨/٢٧ نوفمبر استطاعت قوات المحور المدرعة لم شملها فى الجهة الجنوبية الشرقية من سيدى رزق وتحركت مرة أخرى نحو الغرب واشتبكت بالقوات الإنجليزية واخترقت الاستحكامات حول سيدى رزق بينما قامت قوة أخرى بالهجوم نحو الدودة لفصل قوات سيدى رزق عن قوة طبرق

وفى يوم ٢٩ حشد رومل فرقة أريتى الإيطالية وفرقتيه الميكانيكيتين لشق الطريق نحو الغرب ، ونشبت معركة عنيفة تصادمت فيها القوات المدرعة وأخذ الموقف يتراوح بين العنف والهدوء تتخلله فترات شدة ففترات سكون حتى فترت قوة القتال بعد معارك عديدة مرنة تتخللها تطورات محلية واسعة فى منطقة مساحتها ١٦٠٠ ميل مربع وكان مركز الثقل يتبدل فى هذه المعركة فى كل يوم تقريباً كلما همّ الإنجليز بهجوم وكلما كرّ الألمان بضربة سريعة

ثم خفّت حدّة القتال وازدادت مناعة خطوط الدفاع الألمانية فى منطقة السلوم — سيدى عمر وضاعت كل المجهودات التى بذلها الإنجليز مع ما تخللها من تضحيات وخسائر عديدة ، واستأنف الألمان هجومهم على الدودة و بير الفبى وفى منطقة الحدود حول كابتزو والسلوم وقد تمكنوا من الاستيلاء على سيدى رزق وجمبوت

وكان متوقعاً أن تكون هذه المعارك معارك الإنجليز فقد استعدوا لها خير استعداد وكان لهم التفوق الجوى وتأييد الأسطول المسيطر على البحر تأييداً مستمراً لتأمين الهجوم ، وكانت هذه المعركة هى الأولى التى تتمثل فيها جنود الامبراطورية بأعظم قوة فقد حارب فيها البريطانيون وجنود جنوب إفريقيا والنيوزيلانيون والهنود بقوات ومعدات ضخمة ومع هذا أفسدت الخطط الألمانية الطريق لكسب المعركة و بعثرت قواتهم بعملياتها المرنة ومفاجآتها ومعاركها المشوشة التى تدور فى كل اتجاه

فقد كانت القيادة الإنجليزية تتوقع اشتباكا واحداً تضرب فيه ضربتها وتنتهى من المعركة ولكن قوبلت بعمليات غريبة حدثت عنها عدة معارك متباعدة ودار القتال فى ميادين الصحراء المترامية أو ذات الساحات المتناثرة . . وقد كان لدى الانجليز كما قدمنا ميزات ملحوظة كسلامة نظم التموين والمواصلات الميسورة والقوة الكافية من الدبابات والطائرات . . ولكن مستر تشرشل يفصح عن أسباب العجز فيقول « إن الذين يشتبكون مع الألمان إنما يشتبكون مع عدو صعب المراس قوى الموارد » ويذكر أن خسائر الإنجليز فى الدبابات كانت كبيرة لأن الدبابات الألمانية كانت تستعمل مدافع زنة قنبلتها ٦ رطل وهو تسليح « أفضل من تسليح دباباتنا »

ولما وصلت الحالة منتهاها ولم تجد القيادة الانجليزية حلاً لهذه العمليات المضطربة مضى الجنرال أوكنلك يوم ٢٤ نوفمبر إلى مقر قيادة المعركة وفى يوم ٢٦ قرر إعفاء الجنرال كننجهام من منصبه وعين خلفاً له الميجر جنرال ريتشى

. . ولا ننسى أن تشرشل كان يقول « أنها معركة الجنرال أوكنلك قبل كل شيء وأننا وجدنا فيه كما وجدنا فى ويفل شخصية عسكرية من الطراز الأول »

وبتغيير القيادة بدأت مرحلة جديدة

السلوم — بنغازى . . وبالعكس

لم يتخذ الهجوم البريطانى الثانى فى ليبيا السبيل الذى كان الجنرال أوكنلك وغيره يتوقعونه فقد كانت الفكرة المسيطرة على القيادة البريطانية هى أن يتم الاشتباك مع العدو فى معركة رئيسية يدمرون فيها قواته الميكانيكية فيصبح لا حول له ولا قوة . ولكن ذلك لم يحدث فإن القيادة الألمانية قد عملت على إفساد هذه الخطة ففرقت الحشود وأدارت معارك عديدة عنيفة فى ميادين صحراوية متسعة الأرجاء متفرقة الساحات طويلة الصراع شديدة الوقع

وكانت أعمال الإنجليز تستند إلى دعامات قوية كسلامة نظم التموين وقصر خطوط المواصلات والتفوق الجوى فى فترات طويلة ثم سيطرة الأسطول البريطانى على البحر وتأييده للعمليات البرية ووقوفه فى وجه قوافل المحور ومراكب الإيطاليين

أما أعمال المحور فكانت تستند إلى دفاعات متينة بين السلوم وكابوتزو يبلغ طولها ٢٠ ميلا فلم يكن من الحكمة الهجوم على هذا الخط المنيع قبل الحصول على تفوق كاسح ولذلك اضطر الجنرال كننجهام

فى بدء عملياته إلى التوغل فى الصحراء إلى الجنوب حيث لا توجد استحكامات بذات القوة ثم التف بسيدى عمر إلى أن وصل الجناح الأيسر لقواته إلى بير الفبى . . وقد انتهت هذه المرحلة بنجاح فقد استخدمت آلاف السيارات المحافظة على خطوط المواصلات الصحراوية الطويلة وساعد التفوق الجوى على حماية المطاردة وكانت النتيجة أن وجد الألمان أنفسهم يحاربون فى جبهة تمتد من الشرق إلى الغرب وليس من الشمال إلى الجنوب كما كانوا قد رتبوا خطتهم من قبل

وقد تحولت معركة برقة إلى ثلاث ساحات الأولى الجبهة الرئيسية فى جنوب شرق طبرق والثانية منطقة الحدود والثالثة الساحة الجنوبية الغربية أو ساحة جالو .

ففى الساحة الأولى حاولت القوات البريطانية فى الجنوب الشرقى من طبرق شق طريق لها فى وجه مقاومة عنيفة ففجرت الألغام وأقامت الجسور فوق حفر الدبابات وبعد ساعات سادت الموقف وتغلبت على مقاومات المحور وأسرت أكثر من ألف جندى ، وقد أحكم هجوم قوات طبرق على معاقل العدو فى وقت واحد مع هجوم القوات الزاحفة من الصحراء وتم الاتصال بينهما .

وفى منطقة الحدود كانت المناوشات مستمرة وساحات القتال تتنقل بسرعة وكان الفريقان يتكبدان خسائر فادحة بلا نزاع وقد استردت القوات الإنجليزية سيدى رزق واحتلت بالحامض بعد مقاومات عنيفة

وفى الساحة الجنوبية الغربية كان الإنجليز يتغلبون تباعاً على مقاومات المحور ويحصلون على انتصارات إقليمية متوالية فى الواحات .

وبعد أن كاد الاتصال بطبرق يبلغ مرحلة يؤمل بعدها التغلب على حصاراتها كرّ الجنرال روممل بهجوم عنيف واندفع بقوة خاطفة فمزق حبال هذا الاتصال ثم خفت حدة هجومه عند ما اشتدت مقاومة البطاريات المضادة للدبابات ومدافع الميدان ثم الدبابات والسيارات المصفحة التى حالت دون إيغاله فعاد للجولات السريعة المتنقلة وقد بلغت حركات الجنرال روممل الموسومة بالجرأة والمهارة غايتها من مضايقة خطوط المواصلات البريطانية وإجهاد القيادة إلا أن هذا العمل كلّفه خسائر ملحوظة فى الدبابات .

وقد كان الموقف فى الصحراء متوقفاً على الدبابات الثقيلة ، وهى سلاح هجومى صرف فالمعركة معركة هجوم شديد وكر شديد والفرصة قليلة فى سبيل التقهقر من الجانبين ولا سلامة فى اتخاذ خطة الدفاع . . وكانت الميزات التى يتمتع بها الإنجليز هى أن خطوط مواصلاتهم أقصر من خطوط المحور وأنه كانت لهم الغلبة فى الجو وكانت فى أيديهم طبرق ولهم السيادة البحرية المطلقة .

أما روممل فلم يهدأ وإنما كان دائم الحركة يشغل الانجليز بهجماته السريعة ويضطرهم للانتقال من ساحة إلى ساحة ولم تنقطع اشتباكاته معهم فشهدت منطقة بير الغبى ومنطقة الحدود ومراكز سيدى عمر

وكابوتز وقمبوت هجمات عنيفة ومناورات محكمة البراعة .

وفى التاسع من ديسمبر اتصلت القوات البريطانية التى خرجت من طبرق بجنود جنوب أفريقيا وجنود الهند الذين جاءوا من الجهة الجنوبية الشرقية ثم رفع الحصار عنها وفتحت خطوط مواصلاتها مع الشرق وذلك بعد ثمانية أشهر مضنية . وكانت الأيام الأخيرة من معركة طبرق من الأيام المشهودة فبعد فترة عصيبة اتصلت فى أثنائها الحامية فعلاً بالجيش الثامن ثم انقطعت هذه الصلة اندفعت القوات الامبراطورية من منطقة بير العبد واتصلت بحاميتها وأكرهت العدو على الانسحاب غربا وكانت حامية طبرق قد شقّت طريقاً ضيقاً فى الاستحكامات الخارجية إلى الدودة و بقيت فيها ١٨ يوما صامدة لأشد كرات العدو عنفاً إلى أن استقر الاتصال وتوطد نهائياً فوجدت القوات الألمانية نفسها أمام خطر الانفصال أو العزلة فلم تجد مندوحة من الإسراع فى الانسحاب وتبعتها القوات الإنجليزية التى لم تحل سوء الأحوال الجوية وهطول الأمطار دون تقدمها وتغلبها على كرات المحور وأعماله التعطيلية .

وأخلت قوات المحور منطقة العضم فاحتلتها القوات الإمبراطورية وأخذت فى تطهير طريق البردية — طبرق واحتلت قمبوت وتقدمت بنجاح فى منطقة عكرمة التى احتلت فى ١٢ ديسمبر والتفت بدفاعات الغزالة ثم قامت بتوجيه ضربة شديدة فى الجهة الجنوبية الغربية منها

فأحدثت اضطراباً بين القوات الألمانية والإيطالية المبعثرة التى تتلمس شق طريق لها نحو الشمال و بين وسائل النقل والدبابات .

وهوجمت منطقة « علم حمزة » (١٥ ميلا ج . غ الغزالة) حيث كانت قوات محورية كبيرة ترابط فى دفاعاتها لحماية التقهقر ، و بعد قتال شديد اخترقت المراكز الوسطى على الرغم من كرات قوات المحور وتدخل طائراته المنقضة ، ثم أخذ النجاح يتزايد فى منطقة الغزالة وأخذت أعمال التطهير تسير نحو النهاية بسرعة فى منطقة الحدود .

و بعد قتال عنيف دام خمسة أيام ألقى فيه رومل بأكثر موارده تحطمت جبهته فى كل مكان واشتدت مطاردة قواته فآثر أن ينسحب بسرعة مبدياً الكثير من مهارته فى الرد بكرات عنيفه والقيام بأعمال المؤخرة مع الانسحاب بسرعة كبيرة لتسلم قواته . . وفى مثل هذه الحالة المتحرجة تتبين مقدرة القائد العظيم فى إنقاذ قواته .

احتل الإنجليز درنة والمخيلى بدون مقاومة فى ١٩ ديسمبر وأخذ الزحف فى برقة يستمر بنجاح تؤيده هجمات القوات الجوية بشدة فكان وصول القوات الإمبراطورية إلى درنة بعد ٣٢ يوماً يعد ضرباً للرقم القياسى السابق وقد كان ٥١ يوما .

ولم يكن منتظراً أن يأخذ أى هجوم هذه السرعة التى ظهرت فى هذا التقدم وأن تقع المطاردة بمثل هذه السهولة ولكن الألمان لم يدافعوا عن خط درنة — المخيلى وتركوا مراكزهم غرب الغزالة على الرغم من

قوتها . . وربما كان ذلك لحكمة خافية فلا أحد يستطيع الحكم على نوع الخطة الألمانية وما كان يطرأ عليها من تعديلات تتطلبها تطورات الموقف ، وكل ما يمكن الإدلاء به هو أن القوات الألمانية انسحبت بسرعة فلم تستطع القوات الإنجليزية — رغم كل ما بذلت من محاولات — أن تلحق بها أو تقطع خط رجعتها فوصلت إلى آخر مرحلة بأقل خسائر وباستعداد وهمّة للقيام بالدفاع وانتهى الأمر إلى أن تتقدم فى غزوة طويلة تاريخية .

ولم يدافع الألمان عن بنغازى وكل ما فعلوه هو ترك قوة فى جنوبها لحماية جناحهم ، وقد سقطت بنغازى يوم ٢٤ ديسمبر بعد ٣٧ يوما من الهجوم البريطانى وبعد معارك ضروس تأججت نيرانها فى الأسابيع الخمسة الرهيبة وخاض الفريقان غمارها بكل عنف وشدة فانتهت لمصلحة الإنجليز بأرباح إقليمية كبيرة وربح جغرافى ممتاز هو بنغازى ، نقطة التسهيلات البحرية والمطار الجوى الهام .

ومرة أخرى حدث التوقف عند العقيلة حيث ثبّت الألمان أقدامهم ووقفوا صامدين .

وانتهت المطاردة عند هذا الحد .

على الرغم من وصول القوات الانجليزية إلى هذه المرحلة فإنها لم تكن قد أتمت تطهير الصحراء نهائياً إذ بقيت بعض النقط الحصينة (الجيوب) ترفع لواء المقاومة وكان أقوى هذه الجيوب البردية والسلوم وحلفاية

فالبردية أصبحت طبرق ثانية تعيد صورة شوكة الجنب المشهورة ومع أنها استهدفت للضرب بلا شفقة وأُلقيت عليها عدة أطنان من القنابل فإنها ظلت (بندقة صعبة الكسر) كما وصفتها الأنباء . وقد كانت حاميتها مكونة من لواء كامل وقوة من الدبابات وعدد من مدافع الميدان والمدافع الرشاشة

وقد ظلت البردية تبدى مقاومات شديدة حتى آخر فجر فى سنة ١٩٤١ عند ما قامت القوات الإمبراطورية بهجوم شديد كان المهندسون والخبراء فى المفرقعات والألغام فى طليعته فلما اقتربت من الأسلاك الشائكة المنصوبة حول البلدة ضربتها بالطوربيد ففتحت لنفسها ممراً للتغلب على عقبات أكبر فى مناطق بثت فيها الألغام بكثرة وأخذت فرقة الخبراء فى كسح الألغام فى تطهير ممر واسع يتسنى مرور الدبابات والمشاة منه و بعد ذلك تقدمت الدبابات وأخذت فى تذليل العقبات القائمة على جانبى هذا الممر فى حين بدأت قوات المشاة تتدفق منه

وضُربت البردية من البر والبحر والجو فقد استمرت بطاريات المدافع تقذف الحمم وأعقبتها قذائف الأسطول ثم قنابل الطائرات وفى ليل ١/٢ يناير استولت القوات الإمبراطورية على مراكز المحور الحصينة حول البردية وساهم الأسطول فى ضربها وكان للقوات الجوية كما أسلفنا نصيب لا يقدر فى نجاح العملية فسقطت البردية فى اليوم الثانى من يناير ووقع فى الأسر نحو سبعة آلاف من جنود المحور خمسهم فقط من الألمان

وفى الثانى عشر من يناير جلت القوات الإيطالية عن السلوم ، ولم تنقطع جهود البريطانيين لحظة للاستيلاء على منطقة الحلفاية وكانت قاذفات القنابل تواصل غاراتها ولا يمضى يوم دون أن تهاجمها ولكنها ظلت صامدة بفضل تحصيناتها المنيعة وما وضع فيها من مدافع قوية وما جهزت به من معاقل مخبوءة بمهارة ومحمية بدرجة كبيرة — وكانت طائرات ألمانية تُسقِط للحامية المؤن والمواد الغذائية مما ساعدها على الصمود

وفى صباح ١٧ يناير سلمت حامية حلفاية بلا قيد ولا شرط وأسر نحو خمسة آلاف وخمسمائة شخص ويرجع السبب فى سقوطها إلى الحرائق التى أضرمتها القنابل وتلف مخازن المؤن ، كذلك قلة المياه والمواد الغذائية

وبذلك تغلبت القوات البريطانية على آخر معقل من معاقل المحور فى ليبيا وبرقة وطهرت الصحراء من جميع قوات المحور الباقية وأمن الجنرال أوكنلك على خطوط مواصلاته فأصبح بعيداً عن المشغوليات الأخرى ولم يعد أمامه سوى عملياته الرئيسية وصار حراً فى توجيه جهوده ووضع خططه — وكان أمامه أحد أمرين إما الاستمرار فى الزحف إلى طرابلس ، أو تعزيز ما ربحه فيترك لخصمه حرية المبادأة . .

ليس الانتصار فى حرب الصحراء شيئاً يمكن الاستدلال عليه بالأرض المكتسبة أو بطول التقدم أو يمكن إدراكه بعدد البلاد

المقهورة أو بمقدار المكاسب الأقليمية . . ولكنه ضرب الخصم وتدمير مركباته و إتلاف موارده وأسر رجاله . . وقد شهدت الصحراء المصرية وأقليم برقة خصمين عنيدين استعدا بكل ما فى الطاقة من مواد وموارد وأسلحة وجنود وخاضا معارك عنيفة كان لكل منهما فيها انتصارات وانكسارات ، وجيئات وروحات وقد ظُنّ فى نهاية كل مرحلة أنها نهاية الحرب الصحراوية ظناً خطأ . فالأراضى الضائعة يمكن استردادها أما الأدوات والمركبات التى تتحطم وآلاف الجنود التى تقتل أو تؤسر فلا يمكن استعادتها أو تعويضها .

وقد وصل تقدم الإنجليز مرة ثانية إلى ما بعد بنغازى نخفت قوة الهجوم وتضاءلت شدته ووجدت قوات المحور الأرض التى تنفعها فى الدفاع بعد أن جرّت أعداءها إلى مقربة من « عقر دارها » ووجد الجنرال رومل الفرصة للوقوف وجمع قواته لمقاومة الزحف فأسرع وقام بعدة مناورات ناجحة واشتبك فى معارك قوية سرعان ما تبدل الموقف بعدها — وقد أشادت جميع مصادر الأخبار بالطريقة التى أدار بها الجنرال رومل دفة القتال ، والمقاومة المثمرة التى قام بها ومقدرته على الاحتفاظ بنسبة كبيرة من قواته .

وقد ثبّت رومل جنوده وقاوم مقاومة عنيفة قضت على الجهود المضنية التى بذلها الانجليز فى هجومهم ، ثم هجر خنادقه التى كان مستقراً فيها فى العقيلة وخرج إلى العراء وجهاً إلى وجه أمام أعدائه ، ولم تعد هناك

حقول ألغام ولا عقبات طبيعية تحمى أحد الفريقين ، ثم بدأ مناوراته المعهودة لإفساد الخطة الانجليزية وتفريق منازليه ، ثم أتبع ذلك بهجوم قوى بدأه من مرسى البريقة يوم ١٧ يناير ٤٢ تحميه قاذفات القنابل فلم يأت المساء حتى انسحبت القوات الانجليزية من أجدابية .

وبدأت معركة بين الدبابات فى المثلث الواقع بين أجدابية وعنتيلاب وساونوا ثم اتسعت العمليات وخاضت غمار القتال من الجانبين قوات مؤلفة من مشاة وسيارات مصفحة و بطاريات من المدافع المضادة للدبابات ، وقام رومل بهجوم عنيف دافعاً بطوابيره السريعة إلى الشمال والشمال الشرقى من مسوس « ٧٠ ميلا ج . ش بنغازى » لقطع الجزء الغربى من برقة وتطويق الانجليز الذين لم يعد أمامهم فرصة للانسحاب إلا عن طريق الأراضى المجدبة التى لا ماء فيها فى منطقتى الغزالة وطبرق

وقطع رومل بحركته الجريئة مرحلة طويلة وأصاب القوات الانجليزية بخسائر فادحة وأدار رحى القتال فى منطقة مترامية الأطراف ، ومعركة مضطربة مشوشة يجيد العمل فيها حيث يكثر الكر والفر والصدمات السريعة مما أدى إلى اضطراب مواصلات الانجليز وتحرج موقفهم .

وتطور القتال إلى معارك صغيرة وتعذر على الانجليز حشد قواتهم وتركيز مجهوداتهم ليتمكنوا من القيام بالتدابير المضادة ، فحال بينهم و بين ذلك تكتيكات الألمان ، ومياعة القتال . .

ووصل الألمان مسوس فى ٢٨ وأقبل الخطر على بنغازى فقد ترك

الألمان قوة مناسبة فى مسوس وحوّلوا هجومهم الرئيسى إلى بنغازى التى احتلتها الجيوش المتحاربة ثلاث مرات من قبل . . وكانت القوات التى أقبلت نحو بنغازى هذه المرة مكونة من فيلقين كبيرين يضم كل منهما دبابات وسيارات مصفحة كانت لها الغلبة فانسحبت القوات الأمبراطورية ، وقالت الأنباء الحربية « إن الخسائر التى حاقت بنا ليست قليلة لأنها حدثت فى منطقة أنشأنا فيها مخازن تموينا . . »

فللمرة الثانية إذن بعد قتال عنيف عادت المطاردة عبر برقة حتى العقيلة ولكن هذا الهجوم أيضاً لم يحطم قوات المحور نهائياً ولم يفسد تقهقرها مما مكنها من الثبات ، كما أن القوات البريطانية كانت قد أجهدت بعد هذه المرحلة العاتية فلم تستطع كما قدمنا أن تشق طريقها بعد العقيلة التى دافع عنها الألمان مستندين إلى مواصلات جيدة وخط تموين قصير مستمدين القوة يوماً بعد يوم من الإمدادات التى كانت تصل إليهم متلاحقة على الرغم من تعرض قوافل الإمدادات هذه إلى الهجمات الجوية والبحرية

وأعد الألمان ما استطاعوا من قوة ثم هجموا هجوماً جارفا اقتلعوا به أساس الدفاعات الانجليزية وأرغموا القوات التى كانت بالأمس مهاجمة أن ترتد متعجلة مضطربة بعد ما خسرت الثمين من جنودها المدربة ومعداتها وأقواتها فى بنغازى فإذا ما وصلت إلى خط الغزالة — بير حكيم تمكنت من الثبات وقاومت بحزم ووقفت قبالتها قوات المحور بين التميمى

والمخيلى وكانت الشقة الحرام تقع بين الخط البريطانى الممتد من الشمال إلى الجنوب وخط المحور الممتد من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى وهذان الخطان يقترب أحدهما من الآخر من ناحية الشمال أكثر من اقترابهما فى الجنوب. وهناك بقى الجيشان أربعة شهور يختبران أوضاعهما ويجهزان خططهما واستفاد الألمان من مواصلاتهم القريبة من اليونان وإيطاليا فاستعدوا قبل أندادهم.

وطرأ على الموقف الحربى هدوء طويل كان لحالة الجو أثرها فيه فقد كان فصل الرياح الخمسينية اللافحة التى كانت حرباً وحدها والعواصف الرملية الشديدة . . هذا إذا استثنينا النشاط الجوى وأعمال الدوريات ولكن معركة أخرى كانت دائرة بغير سلاح وقائمة بغير أن تلفت انتباه الكثيرين وهى معركة الإمدادات التى كانت فيما بعد الفيصل القاطع فى هذه المعمعة الصحراوية . . على أن معركة أخرى خطيرة الشأن مرتبطة بمعركة الإمدادات كانت أيضاً دائرة الرحى وهى معركة الطائرات فقد كانت على أشد ما تكون شدة ونشاطاً وذلك لإحراز السيادة الجوية وتعطيل المواصلات وتمهيد الطريق للمعارك البرية فكانت طائرات المحور من طراز ستوكا وقاذفات القنابل من طراز يونكرز وعدد غير قليل من طائرات سافويا مستمرة فى غاراتها المتوالية على ميناء طبرق وشن الغارة من وقت إلى آخر على الخط الحديدى فى الصحراء الغربية وضرب المطارات البريطانية أما سلاح الطيران البريطانى

فقد واصلت طائراته حملاتها على مهابط الطائرات والمعسكرات فى درنة والتميمى ومرطوبة و بنغازى وذلك غير مهاجمة سفن الملاحة وقوافل النقل والتموين .

وكان نشاط فصائل الدوريات الإنجليزية مستمراً فى مهاجمة مثلث المحور الأمامى الحصين بين التميمى والمخيلة ودرنة وكانت طوابير المحور تعمل بين طريق التميمى والمخيلى و بين المراكز الإنجليزية جنوبى الغزالة وتناور بمهارة فى معارك صغيرة متنقلة تختبر بها أوضاع العدو وترقب حركاته وتحاول إقامة بعض المراكز الأمامية وزيادة العمق فى الدفاعات — وكان هجوم المحور متوقعاً ومنتظراً من وقت لآخر وكانت طائرات القتال البريطانية تقوم من قواعدها الأمامية لاكتشاف استعدادات المحور والإغارة على وحداته ومناطق حشد مركباته وما يملكه من وسائل النقل . . . وما كادت تأزف ساعة قيام المحور بهجومه حتى امتلأت السماء بقاذفات القنابل وطائرات القتال لتأييد العمليات البرية وقد اشتركت فيها طائرات (سبيت فاير) لأول مرة كما كانت هناك عدة أسراب أمريكية من طراز لتيهوك المطاردة وحاملات القنابل .

وقد ذكرت وكالة النشرة البريطانية الرسميــة أن القوات الألمانية مؤلفة من الفرقتين ١٥ و ٢١ من فرق الدبابات والفرقة ٩٠ المصفحة الخفيفة وأن القوات الإيطالية مؤلفة من فرقة أريتى المصفحة وفرق تارنتا و بولونيا و بافيا من المشاة .

وكان أمام رومل خطتان لا ثالث لها فإما أن يخترق مراكز الحلفاء الأمامية التى تكتنفها الالغام أو يقوم بحركة التفاف من الجنب مع القيام بهجمات خفيفة فى جهات أخرى فاتبع الطريقة الثانية

وفى ٢٧ مايو ٩٤٢ حدث اصطدام كبير بين القوات المدرعة فى جنوب خط الحلفاء ، فكان ذلك إعلانا ببدأ الهجوم فى ليبيا بعد فترة الانتظار الثقيلة ، وقد تجاهل الألمان حرارة الشمس الموقدة فى الصيف ووطأتها على الجنود وخصوصاً جنود الدبابات وتقدمت قوة كبيرة من الطرف الجنوبى فى خط المحور بين روتندا وسكنالى وتنجدر بينما رابطت القوات البريطانية لمقاومتها .

ودفع رومل بالأفواج الأولى من الفرقتين ١٥ ، ٢١ المدرعتين ومن الفرقة التسعين الميكانيكية الخفيفة فدارت حول خط الحلفاء متجنبة حقل الألغام البريطانى الممتد من الغزالة إلى بير حكيم والذى يحمى وراءه من الشرق عدداً من نقط الدفاع البريطانية ، وبعد الدوران حول بير حكيم تفرعت قوات المحور إلى طوابير سريعة وصلت إلى سيدى رزق والدودة والعضم بينما اندفعت القوات الرئيسية فى « صندوق صحراوى واسع الارجاء محاولة فتح الغطاء إلى البحر » فكانت خطة جريئة مملوءة بالمغامرة .

ونشب قتال راعب فى المنطقة الواقعة حول جسر الفرسان «١٢ ميلا جنوب عكرمة » واخترقت ثغرتان فى حقول الألغام الإنجليزية أخذتا فى الاتساع حتى تكونت منهما منطقة كبيرة عرفت باسم « مرجل

الشيطان » واستمر القتال بين القوات المدرعة بجوار جسر الفرسان وغربى عكرمة ووصلت قوات المحور يوم ٢٨ إلى طريق الساحل بينما كانت معركة بين الدبابات مشبوبة حول بير حكيم التى كان يدافع عنها الفرنسيون الأحرار ، ومعركة أخرى بين الساحل وجسر الفرسان .

ويمكن من هذا استقراء الخطة الألمانية بالنسبة إلى اتجاه الهجوم هذا وتطوارته بأن الجنرال رومل عند ما دفع بجيش المانيا الإفريقى إلى الهجوم يوم ٢٦ مايو إنما كان يقصد القيام بعمليات حاسمة يصل بها إلى قهر القوات المدرعة والاستيلاء على طبرق — وسبيله إلى ذلك أن يستولى على بير حكيم ويلتف حولها من الجنوب ثم يتقدم بقوات مدرعة للهجوم بشدة على الغزالة وطريق كابتزو .

وقد قام جيش إفريقيا الألمانى بنصيبه فى الخطة التى وضعت فمر من حول بير حكيم فى ليل ٢٦ / ٢٧ مايو واتجه نحو الشمال بسرعة كبيرة عن طريق عكرمة وفى اتجاه ساحات القتال القديمة فى الدودة وسيدى رزق وحدثت معارك بين القوات المدرعة خلال هذه التنقلات ووصلت دبابات المحور إلى المنحدر الذى يشرف على الطريق الساحلى شمال عكرمة .

وحاول المحور إنزال بعض القوات عن طريق البحر إستكمالاً لخطته ولكن الأسطول البريطانى وفّق فى القضاء على هذه المحاولات .

وفى أيام ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ دارت معارك عنيفة مستمرة كثيرة التنقل تسير إلى الأمام تارة وترتد إلى الوراء أخرى فى منطقة شاسعة تمتد من عكرمة فى الشمال إلى بير حكيم على بعد ٤٠ ميلا إلى الجنوب ومن المضم إلى ٣٠ ميلا نحو الغرب ، ونجح الألمان فى توسيع الثغرات التى أحدثوها فى منطقة الألغام ثم دخلت العمليات فى دورها الثالث فقد كان الدور الأول محاولة الوصول إلى طبرق وقد تعطل بفضل المقاومة البريطانية وثبات بير حكيم والدور الثانى كان ثبات الألمان فى منطقة الألغام ، ثم انتقل الضغط فى الدور الثالث فجأة على قوات الفرنسيين الأحرار المرابطة فى الجناح الجنوبى عند خط الغزالة وقد كان لابد للمارشال رومل من أخذ بير حكيم قبل أن يخطو للأمام حتى لا ترهق مدده وتعرقل حركته .

وقد هوجمت بير حكيم من الجنب أما الغزالة فهوجمت بالمواجهة وكان موقع الحلفاء فيها حصيناً بالطبيعة لأن الأرض حول هذه المواقع وخلفها حتى أطراف استحكامات طبرق كانت كثيرة التلال والصخور وتحميها مجموعة من المراكز الكثيرة الحفر والخنادق والنقط الحصينة التى نصبت حولها مدافع الميدان .

وفى هذه المواقع وفى غيرها وفقت القوات المصفحة البريطانية بعد معارك شديدة وخسائر فادحة إلى مقاومة هجمات رومل العجيبة الشكل وقد لعبت قوات المشاة والمدفعية دوراً كبيراً فى هذا النضال حيث حرمت قوات المحور الميكانيكية ميزة السبق وسرعة الحركة وظلت صامدة تعزز مراكزها فى مثلث هرمات — تمار — جسر الفرسان —

رغم كرات الألمان المتكررة لإزالة هذا المركز وفتح الطريق إلى عكرمة والعضم .

وكان ميدان المعركة الفاصلة فى المنطقة الصحراوية التى كانت تحيط بجسر الفرسان حيث تقاتلت الدبابات والمدفعية قتالاً مستمراً ثم شدّد الألمان هجومهم فانتقلت المعركة من خارج استحكامات جسر الفرسان ومنطقة الألغام وتحركت غرباً . . وتراجعت القوات البريطانية أمام مناورات روميل الشاذة وكان عليها أن تسرع حتى لا تقع فى حبائله .

أما فى بير حكيم فقد استمرت الحامية تبدى بسالة فى مقاومتها على الرغم من الضربات الشديدة التى ألحقت بها وأخيراً سقطت بير حكيم ليلة ١٢/١١ يونيو بعد إحدى عشر يوماً صد فيها الجنرال كوينج هجمات واسعة النطاق .

و بدأ الألمان يشقون طريقهم بين طبرق والغزالة ونجح هجومهم على العضم واندفعت قوات المحور صوب عكرمة التى تعد مدخل طبرق الغربى والطريق إلى الشاطىء واستمر زحف الألمان بنجاح كبير وأخذ روميل يسعى لينزل بأعدائه ضربة حاسمة و يعمل لعزل الغزالة وحصر القوات البريطانية فيها ولكن تم التراجع من الغزالة وجسر الفرسان يوم ١٤ يونيو ووصل الألمان إلى الطريق الساحلى فى الجهة الغربية من طبرق وأخذ يسرع فى زحفه ، فلما وضح للإنجليز الخطر الداهم فى هذا الزحف الجامح أسرعوا إلى سحب حامية العضم وسيدى رزق ثم طبرق التى سقطت

يوم ٣١ يونيو فقد كان ضغط الألمان عليها قوياً ، فاخترقت دفاعاتها واستسلمت حاميتها وبدأت أزمة خطيرة فى صفوف الإنجليز .

وكانت القيادة الإنجليزية ترمى للاحتفاظ بطبرق والعودة إلى الهجوم من الحدود المصرية ولكن فى هذه المرة كانت قوات أوكنلك غير كافية أو قادرة على ذلك وقد نقصت ٢٣ ألفاً من خيرة الجنود الذين وقعوا أسرى ، ولا شك أن فقد هذا العدد الكبير من الجنود المدربين يعد نكبة وقد قالت التيمس « لا شك أن قواتنا كانت تواجه قوات متفوقة فى القيادة وأنها نازلت جيشاً مظفراً هزمها هزيمة مروعة الخسائر . . »

وكان الهجوم على طبرق قد وُجه إلى الجزء الجنوبى الشرقى من نطاق الاستحكامات ، واندفعت القوات الألمانية فشقت طريقها وانفصلت إلى قوتين سارت إحداها فى طريق طبرق وسارت الأخرى فى الطريق الممتد تحت المنحدر حيث اجتاحت مراكز القيادة البريطانية وأحكمت الحلقة عليها فتعذر على حاميتها أن تقاوم ولما تم تطويقها واشتدت الضربات عليها خمدت مقاومتها واستسلمت .

تقرير الجنرال أوكنلك :

« لما قام العدو بمحاولته الأولى لتطويق بير حكيم واصطدمت القوات الأمامية البريطانية بالقوات المصفحة الألمانية فى المنطقة الواقعة بين العضم وجسر الفرسان كانت الحالة تبدو على ما يرام ، وعلى الرغم من الثغرة التى فتحها العدو فى حقول الألغام البريطانية فقد كان يواجه

صعوبات في وسائل تموينه وكانت كل جهودنا بما في ذلك الغارات الجوية الشديدة ترمي إلى زيادة هذه الصعوبات .

وقد كانت هذه أدق مرحلة في المعركة إذ كان العدو في حالة شديدة من الأعياء تمنعه عن مواصلة القتال — فلو استطعنا انتهاز هذه الفرصة لكنا قلبنا كفة الميزان ولكننا في الحقيقة كنا في حالة أعياء مماثلة فلم يكن مقدورنا ذلك .

وكان الهجوم المضاد الذي قام به الجنرال رتشي لطرد العدو من حقول الألغام البريطانية سابقاً لأوانه فقام العدو رداً على ذلك بكرة شديدة أكرهت البريطانيين على الانسحاب — وعلى أثر سقوط بير حكيم واصل العدو هجومه في منطقة جسر الفرسان والعضم واضطررنا بعدها إلى التخلي عن بعض المواقع فتم بذلك للعدو طريق الزحف إلى الساحل . . . »

وبعد هذه الصدمة تراجعت القوات البريطانية غير قادرة على التماسك أو الثبات ودون أن تجد الفرصة لتنظيم الانسحاب أو القيام بالأعمال التعطيلية فقد كان روميل يتقدم بجسارة وسرعة لاحد لهما وكان يضرب بشدة مما جعل حربه هذه صورة صادقة من البلتزكريج الألماني — وهي الحرب الخاطفة الرهيبة — وعادت القوات الإنجليزية مرهقة إلى خطوطها الأولى بعد مرحلة طويلة شاقة من السلوم إلى بنغازي . . وبالعكس !

نقطـــة التحول

كانت قوات المحور تقدر بمائة ألف جندى نصفهم من الألمان وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه الهجوم على خط الغزالة بير حكيم ، وقد ذكر مستر تشرشل أن القوات الإنجليزية كانت متفوقة فى عدد الدبابات بنسبة سبع دبابات إلى خمس ومتفوقة أيضاً فى المدافع بنسبة ثمانية إلى خمسة وكان بعضها تزن قنبلته ٥٥ رطلاً ومسافته ٣٠ ألف ياردة ، ومتفوقة فى الجو ، وأنه كان فى وسع الحلفاء أن يقوموا بالهجوم فى أوائل شهر يونيو لو أن العدو لم يبدأ ضربته . . .

وكما قدمنا كانت خطة روميل تقضى بالاستيلاء السريع على طبرق ولكن أفسد عليه ذلك ثبات القوات الإنجليزية حيناً من الوقت واستبسال حامية بير حكيم ، ثم حدثت معارك الدبابات وأصيب الفريقان من جرائها بخسائر فادحة ، علماً أن الجنرال روميل نجح فى اختراق خطوط الاستحكامات الإنجليزية واستوطن فيها (مرجل الشيطان) حتى تم ارتداد قوات بير حكيم فكان ذلك نقطة التحول فى المعركة . . فقام روميل وجيشه بهجوم مستمر لا هوادة فيه دام خمسة

أيام حول جسر الفرسان وعكرمة ، وقد كسب المعارك التى حدثت فى ذلك الوقت حتى أنه حطم فى يوم ٢٣ يونيو وحده أكثر من مائتى دبابة إنجليزية دون أن تقع به خسائر مماثلة فاشتد ساعده وقويت شوكته فدهم القوات الإنجليزية فى الغزالة وأخذ يجتاح مقاوماتها على طول الطريق .

وكانت القيادة البريطانية مصممة على بقاء طبرق وجعلها تلعب نفس الدور القديم ، شوكة فى جنب مواصلات المحور ، ثم الانسحاب من خط السلوم — الحلفاية إلى مرسى مطروح واتخاذها مركزاً للدفاع العام ، وكان بين الجيشين مسافة ١٢٥ ميلا وكان متوقعاً لذلك أن تكون هناك فسحة من الوقت لا تقل عن أسبوعين ولكن لم تمض خمسة أيام حتى لحقت قوات رومل بأعدائها وراحت تضرب بشدة فأسقط فى يد الإنجليز وتعذر عليهم تنفيذ الخطة التى رسمتها القيادة وتحرجت الحالة تحرجاً شديداً .

وهنا أسرع الجنرال أوكنلك فأخذ بنفسه زمام الموقف وتولى قيادة الجيش الثامن بدلاً من الجنرال ريتشى ، ولم تكن هذه أول مرة يحدث فيها تغيير القيادة ولكن أحب أن يلاحظ القارىء شيئاً فى هذا الصدد وهو نهوض مستر تشرشل فى مجلس العموم مدافعاً عن القادة مرتئياً أنه «لابد للحكومة أن تقف كالطود لتدفع عن القواد فى ميادين القتال كل نقد أو لوم ، ولا بد أن تهىء لهم فرصة وأكثر من فرصة لأنكم

لا تجدون قواداً يستهدفون للأخطار ما لم يشعروا بأن من ورائهم حكومة قوية فلا يجدون ما يحملهم على النظر من فوق مناكبهم خوفاً مما يقال عنهم فى أرض الوطن . »

وقد قال الجنرال أوكنلك لجنوده « لقد قاتلتم قتالاً عنيفاً مستمراً دام أكثر من شهر ولقد تحملتم خسائر كبيرة وبذلتم جهوداً صادقة . . والحالة الآن تقتضى بذل أعظم مجهود من جانبنا . »

وكان القتال حينذاك قد وصل الحدود المصرية

وحدثت عدة معارك على خط الحدود لم يكن المقصود منها الدفاع ولكنها كانت بمثابة مناوشات لجأ إليها الجيش الثامن لتأخير زحف الألمان وإعطاء فرصة للقوات الرئيسية لتعيد تنظيمها وتدعم استعدادها ، ولم يكن هيناً أن يدافع الإنجليز فى منطقة الحدود نظراً لعدم انتظام عملياتهم ونظراً لأن خط الحدود مديد ويتطلب عدداً كبيراً من الجنود وتفوقاً على العدو فى القوات المصفحة لمنعه من الالتفاف ، كما كان للفشل الذى منيت به القوات الإنجليزية فى لوبيا وحركة الانسحاب الطويلة التى تلته أثراً مرهقاً يتطلب إعادة جميع القوات وتنظيمها ، وذلك لا يكون متيسراً فى المراكز الأمامية التى تكون عرضة لضربات العدو المباشرة . .

وكان فى مقدرة الجنرال أوكنلك أن يدافع فى مرسى مطروح ولكنه آثر أن يتراجع قليلا إلى مراكز أخرى أكثر مناعه وقرر ذلك

بحزم فانسحبت قواته من مرسى مطروح ، والذين يعرفون مرسى مطروح وخصوصاً الرجال العسكريون يذكرون أنها ذات مناعة ففى غربيها مسافات طويلة من الرمل الأبيض الناعم ووراءها سلسلة وديان عميقة وينتهى الطريق الخديوى بين مجارى المياه والوديان الصخرية وحواجز من تلال الرمال فتكون جميعها حصناً طبيعاً منيعاً يحمى مرسى مطروح ، وفى مثل هذه المنطقة تستطيع القوات المدافعة أن تستفيد من هذه الموانع والعراقيل الطبيعية .

انسحبت القوات الإمبراطورية من مرسى مطروح أيضاً يوم ٢٨ يونيو وتراجعت بسرعة نحو الشرق بينما اتجه زحف المحور الرئيسى على طول الساحل ولم يقع اصطدام فعلى ولم تحتدم معركة ولكن كانت عملية مطاردة سريعة تثير القلق على مصائر الأمور — وقد لعبت الطائرات دوراً عظيما فوق الطلائع الألمانية لتقوم بما كان واجباً على قوات المؤخرة ولتساعد على تعطيل التقدم وضرب قوات المحور الجوية ووحداته الميكانكية وللهجوم على الجنود الزاحفة من مرسى مطروح

واستخدم الألمان جميع وحداتهم السريعة الحركة فاجتمعت الفرق الميكانيكية مع القوات المدرعة وشرعت فى الاندفاع شرقا وقد حدثت عدة اشتباكات كان يكيفها الجنرال روميل وفق هواه وعلى الطريقة التى يحب . فيصبح القتال عنيفاً ولكن مائعاً مشوشا . وحربا متنقلة شاقة شديدة التقلب والمرونة . وكانت المعركة فى بعض أدوارها قتالا

بين قوات مضادة للدبابات ووحدات من المدفعية ، ولم يرابط الإنجليز في مراكز دفاعية معينة ولم تعط لهم الفرصة للوقوف فإن القتال لم يكن مستقراً في ناحية وإنما كان كما وصفته مصادر الأنباء ذا صبغة (مائعة)

وواجهت القوات البريطانية عبء الهجوم الألماني تاما كاملا وكانت وهي تواجه أخطر ساعاتها في الشرق الأوسط تقاتل في كل ساعة في البر وتضرب من الجو وتهاجم خطوط المواصلات وتقوم بأشد الغارات على موانى التموين في شمال إفريقية .

وانتقل القتال بعد مطروح إلى فوكه ثم الضبعة وعدة أميال أخرى من الصحراء بين اشتباكات ضئيلة ومقاومات محدودة ومصادمات مشوشة كثيرة التقلبات حتى وصل الأمر نهايته وبلغت الحرب الساحة التي وقع عليها اختيار الجنرال أوكنلك ليقف في وجه الزحف ، وقد حدث ما أراده فعلا في هذه المنطقة التي أعدتها الطبيعة بعناية تناسب الموقف مناسبة لا نظير لها . . وهذه المنطقة تقع بين الساحل عند بلدة العلمين وبين منخفض القطاره وهي تضيق إلى ناحية الشرق على شكل يشبه عنق الزجاجة وتحيط بها مرسى مطروح من ناحية الغرب ، وفوكه ومعاطن بغوش من ناحية الشرق ، وفي هـذه الساحة حدث التوقف وتبدلت الأمور ، وبدأت مرحلة التحول . .

وانتقل الحذاء من قدم إلى قدم . . !

عنق الزجاجة

أصبحت القوات الإنجليزية منذ أول يوليو سنة ١٩٤٢ فى موقع يمتد من العلمين إلى الطرف الشرقى من منخفض القطارة

ورجال الجيش وكثيرون من الموظفين المدنيين الذين خدموا على مقربة من العلمين ، والرياضيون الذى كانوا يقومون بالرحلات إليها يعرفونها جيداً دون أن يخطر للكثيرين منهم أن تصبح العلمين يوما ميدان حرب ، وأن تكون نقطة فاصلة فى أمر حملة خطيرة وأن تندفع نحوها هذه الشهرة العالمية والتاريخية .

أما الجنرال أوكنلك فرآها بعين القائد المتيقظ الذى يعرف قيمة الأرض وأثرها فى القتال ويعرف ما تفرضه طبيعة الأراضى على القوات المحاربة وأسلحتها ، فهو عند ما قرر أن يقف فى العلمين كان واثقا من خصائصها الجغرافية وما سيكون لها من أثر كبير فى العملية التى اعتزمها والتى كان مستقبل هذه الحرب منوطاً بنجاحها أو إخفاقها .

وليس للعلمين ذاتها أية أهمية خاصة فهى محطة عادية تقع على طريق السكة الحديدية السائر غربا إلى مرسى مطروح والطريق الساحلى

المرصوف الممتد إلى الحدود الغربية ، وهو الطريق الوحيد الصالح لسير العربات والحملات الحربية ، أما الشط فسهل متموّج مؤلف من تربة حمراء منقطة بالعشب وقد أهالت الريح عليه الرمال وتركتها كثبانا يصعب اجتيازها وخصوصا فى فصل الأمطار .

أما منخفض القطارة الذى أصبح بقعة شهيرة حملت أنباءها الرسالات البرقية إلى جميع أنحاء العالم وصار من الأسماء التاريخية فيقع فى الجزء الشمالى من الصحراء وفى منتصف المسافة بين وادى النيل والحدود الغربية ، وتبلغ مساحة ١٩٥٠٠ كم وعمقه نحو ٦٠ متراً وتملؤه الرمال المتهايلة فيصبح السير فيه متعذراً وخصوصاً بالنسبة للمركبات الكبيرة

وقد اتخذت القوات الانجليزية هذا المكان الممتاز الذى اختارته القيادة لايقاف زحف المحور فى مواجهة أربعين ميلا فقط يحدها البحر من الشمال ومنخفض القطارة — الذى لا يمكن عبوره — من الجنوب فكانت بذلك آخر ساحة يمكن الوقوف فيها وأحسن ميدان يمكن المدافعة عنه ولن يجد العدو حيلة لاستمرار زحفه إلا هجوما بالمواجهة فهنا ينقطع كل أمل فى محاولة التطويق أو المرور من الجنب .

وهذا هوما اتجهت إليه خطة المحوريين فعلا فأخذوا يوجهون ضرباتهم إلى القلب ولم يكن بمقدورهم استخدام البحر لإنزال قوات جديدة خلف خط القتال ، كما كانت مسألة استخدام جنود المظلات أو جنود الطائرات مسألة تحتاج لترتيبات ضخمة واستعدادات لم يكن الموقف الحربى العام ليساعد على إنجازها .

وقد أخذت مظاهر المعارك تتغير شيئاً فشيئاً إزاء المجهودات والمقاومات التي كانت تبذل بسخاء فاضطر الألمان إلى تخفيف نشاطهم والالتفات إلى تنظيم قواتهم والاستعداد للوثبة الجديدة فهدأ الموقف الحربي قليلاً وصدت الهجمات المسلطة على العلمين وحدثت عدة التحامات سريعة وغزوات قصيرة لم يكن لها نتيجة في تغيير الأوضاع التي استقرت منذ ٣٠ يونيو وأخذت المدفعية الانجليزية تطلق نيرانها بغير هوادة وتقيم سداً من النار لا تستطيع قوات المحور أن تنفذ منه وقد وصف الميدان بين البحر والمنخفض بأنه مركز شديد الانزحام ولكنه ثابت جداً .

وفي ٣٠ يونيو هجمت فرقة دبابات ليتوريو ولكنها رُدَّت على أعقابها مثقلة بالخسائر التي أحدثتها بها القوات المدرعة ، وفي اليوم التالي هجمت المشاة ولكن لم ينجح الألمان في الحصول على نتائج في غمار المعارك الكثيرة المتتابعة ، وبقيت مراكز الجيش الثامن في منطقة العلمين سليمة وأصبح رومل يلقى صعوبات جمة من جراء ترامي خطوط مواصلاته بينما كانت القوات البريطانية تتلقى إمدادات جديدة غير منقطعة بفضل قصر خطوط مواصلاتها كما كانت الأسلحة تفد من أمريكا منذ سمع الرئيسان روزفلت وتشرشل بسقوط طبرق وهما مجتمعان في وشنطون فأرسلت دفعات متلاحقة من دبابات شرمان وعدد من الطائرات ، وكانت المدافع الانجليزية من عيار ٦ رطل المضادة للدبابات تصل بغير

انقطاع وهى المدافع التى خففت من حالة الموقف السىء فى الغزالة من قبل وأخذت المهمات للجيش الثامن تصل تباعاً من المصانع البريطانية . أمّا الإمدادات الجوية فكانت على أوسع نطاق فقد استخدمت نحو ٧٠٠ قاذفة قنابل فى هذا الميدان وتغلبت على طائرات المحور وأحرزت السيادة الجوية .

و بين مايو ونوفمبر ٤٢ توالت الامدادات من كل نوع ومن كل قطر على الشرق الأوسط .

أما ما حدث منذ أول يوليو بعد أن تم استقرار الإنجليز فى العلمين فنلخصه فيما يلى : —

يوم ٧/١ قام الألمان بثلاث هجمات كان آخرها أشدها وقد وصفتها البلاغات الألمانية بأنها عمليات مواصلة مطاردة القوات الإنجليزية نحو وادى النيل .

يوم ٧/٢ قامت قوات المحور بهجوم كبير آخر يتقدمه جنود المشاة بغية تدمير المدافع البريطانية و إفساح الطريق لقواتهم المدرعة وحدث ذلك بتأييد المدفعية ولكن المدافعين قاموا بكرة كبيرة حالت دون تأييد قوات المحور المدرعة للمشاة فأدى ذلك إلى حبوط الهجوم وارتداد القوات التى قامت به .

يوم ٧/٣ استأنف المحور هجومه بالدبابات فى منطقة العلمين فردته القوات البريطانية بعد أن أنزلت به خسارة فى الدبابات واستولت على عدد من المدافع والأسرى .

ويستنتج من ذلك أن المحور كان دائم السعى لاختراق الخطوط الإنجليزية وإن الإنجليز نجحوا دائماً فى صد هذه الثغرات وضيعوا على الألمان فرصتهم العظيمة وحرموا رومل ثمار انتصاره الكبير ، وقد جاء فى البلاغات الألمانية أن مناعة المراكز البريطانية قرب العلمين أعجزتهم عن شق الطريق إلى الأمام وأن قوات المحور تقوم بصد الكرات البريطانية . . وحدثت عشرات الأدلة على أن المعركة كانت تتطور وأن الأرطال كانت تضاف يوماً بعد يوم إلى الكفة الإنجليزية فى الوقت الذى كانت فيه خطوط مواصلات المحور قد بعدت ٣٠٠ ميل من طبرق و ٧٠٠ ميل من بنى غازى وأكثر من ألف ميل من طرابلس . . ولمعركة الإمدادات فى مثل هذا الموقف شأن حاسم .

ولم يحدث هدوء حقيقى فى ميدان المعركة فالهجمات كانت تشن فى كل يوم وكانت الخسائر والتضحية الناتجة عنها متوازية تقريبا والمكاسب الإقليمية ضيقة النطاق — وكان أكثرها أهمية احتلال الاستراليين لتل العيصى — وأخذت المعارك بعد ذلك تتنقل بعنف من مكان إلى مكان دون أن يظفر فريق بالآخر ، وكان الشىء الواضح من هذه المحاولات هو أن القوات الإنجليزية قد ثبتت نهائيا فى مواقعها وأن قوات المحور كانت قوية ولا سبيل إلى إخراجها من مراكزها قبل الاستعداد بقوات مضاعفة وأسلحة متزايدة وجهود جهيدة .

والحقيقة التى كانت أكثر وضوحا فى هذا الموقف هى أن الجيش

الثامن بعد أن خاض معارك خطيرة مرة المذاق قد استطاع أن ينتزع زمام السبق فى العمل ففشلت جميع محاولات المحور التى أراد بها شق طريقه إلى الأمام بسبب المدفعية الانجليزية والوحدات المدرعة والطيارات التى لم تتحرك لجيش إفريقيا الألمانى فرصة للراحة ولحرية المناورة ولم تمكنه من حشد قواته لإدارة دفة القتال كما يشتهى .

ولهذا ثبتت القوات المتحاربة فى أمكانها وأخذت تعيد تنظيمها وتقوى دفاعاتها ولم يطرأ أى تبديل على الخط الذى يتقابل فيه الجيشان والذى كان ممتدا إلى الجنوب ثم يتجه غربا متخذا شكل حرف ل وعنده وقف الفريقان موقف الدفاع فحفرت الخنادق ونظمت المواقع الدفاعية وزادت الاستعدادات ليتمكن السابق من الخصمين أن يوجه ضربة ساحقة يحقق بها أغراضه فى القتال .

ولم يكن يحل الموقف إلاّ هجوم قوى بالمواجهة فحركة الالتفاف لا سبيل إليها فى هذه الساحة المحدوده بين البحر فى الشمال ومنخفض القطارة فى الجنوب . . . وطبيعة التربة فى منخفض القطارة تجعل من المستحيل على القوات أن تتقدم فيها وخصوصا إذا كانت هذه القوات مؤلفة من الدبابات والسيارات الكبيرة وما يشابهها من معدات الحرب الثقيلة .

كما كان الأمر يتطلب تفوقاً ساحقاً فى جميع أسلحة القتال وقد كان الجيشان المتحاربان يعتصمان بحقول منيعة من الألغام وأسلاك شائكة

وخطوط قوية من الحفر والخنادق فالهجوم بالمواجهة يتطلب كل ذلك مع الاستعداد سلفاً لتضحيات جسيمة وخسائر لا منقذ منها .

وكانت هناك وسيلة أخرى للتغلب على هذه العقبات ولكنها لم تستخدم وهى إنزال الجنود من البحر خلف المواقع الدفاعية وهى عملية تتطلب سيطرة بحرية تامة ودفاعا قويا ضد الطائرات وربما كان ذلك أمراً لا يمكن تحقيقه بالنسبة للموقف الحربى العام فى تلك الأيام ، كذلك استخدام جنود المظلات على نطاق واسع ولكن أحد الفريقين لم يلجأ لذلك وظلت المناوشات البرية تأخذ كل وقتهم وأفكارهم وتتراوح شدة وضعفاً .

على أن المعركة الجوية كانت على أشدها وكان للإنجليز التفوق فى الطائرات وقد أحصت البلاغات الرسمية خمسة آلاف غارة على جيش رومل وموانى الإمدادات فى شمال أفريقيا خلال العشرة الأيام الأولى من يوليو وكانت العمليات البحرية أيضاً لا تهدأ وقد استمرت سفن الأسطول البريطانى تواصل ضرب الموانى وخصوصاً مرسى مطروح حتى حولت ذلك الميناء جحيماً وكانت تناهض الغواصات وتطارد سفن المحور وقوافل الإمدادات بغير هوادة .

أما الميدان البرى فى العلمين فقد انقسم إلى ثلاث ساحات الساحة الشمالية والساحة الوسطى والساحة الجنوبية وقد شهدت كل من هذه الساحات الثلاث عمليات كرّ وفرّ متعاقبة وتحطمت عندها مئات من

العربات والمعدات وصرعت فيها قوات عديدة من الطرفين ووقع أسرى كثيرون .

وانقضى النصف الأول من شهر يونيو على وتيرة واحدة : هجمات من جانب الألمان هنا مرة وهناك مرة فتقابلها القوات الإنجليزية بمقاومة فعالة حتى تعيدها إلى خطوطها الأولى قبل انتهاء اليوم حتى إذا جاء يوم ١٤ يوليو كان الجيش الثامن قد أحبط مشروع جيش أفريقيا الألمانى الذى أراد به أن يحدث أكبر ضغط ممكن على خط العلمين فقد زحفت الدبابات الألمانية تؤيدها المشاة فى اللوريات بين كثبان الرمل عند تل العيصى فى أقصى الساحة الشمالية بينما قام الإنجليز بهجوم فى الساحة الوسطى على طول هضبة تعد مفتاح الموقف وكانت نيران مدافع الجيش الثامن تطلق ستاراً من النيران الجهنمية على مراكز الإيطاليين ومشاة الألمان عند منحدر الهضبة وتقيم حولها غلالة مروعة ثم اندفع المشاة للهجوم واشتبكت الدبابات فى منازلات عنيفة و بعد قليل توقفت معركة الدبابات فى الساحة الوسطى واحتفظ الحلفاء بمراكزهم وهجمت قوات المحور على هضبة الرويسات ولم ينل أحد الطرفين كسبا من هذه العمليات وعاد كل إلى قواعده بعد مالحقه من الخسائر والأضرار نصيب كبير .

وفى النصف الثانى من شهر يونيو حدثت معارك الهضاب فى سبيل السيطرة على الهضاب الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربى من العلمين وقد اشتدت فيها معارك الدبابات والمشاة ، أما الهضاب التى كان القتال

دائراً بسببها فهى تل العيصى والمخاض والمتربة وهى تقع فى الساحة الشمالية على مقربة من الساحل ، ثم الطرف الغربى من هضبة الرويسات وهضبة دير الشين المتصلة بها أو المتممة لها ، وهضبة الطاقة وهى هضبة مرتفعة مسطحة تقع على حافة منخفض القطارة وتعد الحد الجنوبى لجبهة القتال . . وقد ظلت المعارك سجالاً يشتد فيها القتال بالدبابات تارة وبالمشاة أخرى وتتخذ نفس الصورة التى تميزت بها حرب الصحراء وهى صورة الكرّ والفرّ والقتال المتنقل بين مكان ومكان . وقد استخدم الألمان دباباتهم فى هذه الفترة إستخداماً جديداً فقد وضعت وحدات منها فى دشم وخنادق واستخدمت فى مساعدتها بطاريات المدفعية والحقيقة أن تسليح الدبابات قد تطور تطوراً كبيراً والذين شهدوا فلم انتصار الصحراء قد لاحظوا بغير شك ضخامة الدبابات وقوة دروعها ولكن ذلك لم يثر دهشة الفنيين منهم بقدر ما أثارتها أنواع المدافع التى كانت تتسلح بها هذه الدبابات .

ونعود إلى ميدان القتال فى شهر أغسطس فنجد أنه لم يحدث فى ذلك الشهر من العمليات الحربية ما يستحق الذكر وأنه لم يطرأ تعديل على الحالة فانحصر النشاط فى أعمال الطائرات التى كانت قوية الجناح شديدة الخطر على الموقف عامة كذلك كانت القوات البحرية دائمة العمل تجاه السواحل المصرية واللوبية لمطاردة سفن المحور ومقاتلة

غواصاته وشل حركة التموين عن طريق البحر فالسيطرة الجوية والتفوق البحرى قطعا فى أمر معركة الإمدادات .

على أنه فى الليلة الأخيرة من شهر أغسطس قامت القوات الألمانية المدرعة بهجمتين قويتين فى الساحة الشمالية وقد انتهت تلك العمليات بغير نتيجة وعادت قوات المحور إلى مراكزها بعد قتال شديد نتجت عنه خسائر ذات شأن

وحدث هجوم آخر لقوات المحور فى ساحة الاستحكامات الخفيفة فى الجنوب بين الرويسات والحميات فضربت الطرف الجنوبى من هذه الساحة ودارت للشمال متجهة من خلف خطوط القتال نحو الشاطئ لتستدرج القوات المدرعة ولكن ردّت عليها نيران المدفعية وقنابل الطائرات وفى اليوم التالى قفلت راجعة إلى مراكزها بغير نتيجة .

ولم يحدث بعد ذلك قتال يستحق الذكر غير مناوشات ضئيلة بين الدوريات وعلى نطاق ضيق فقد اختبر كل خصم خصمه وامتحن ثباته واستعداداته ولم يكن أحدهما قد وصل بعد إلى الحالة التى يستطيع عندها دفع الآخر نهائياً فتأجلت الموقعة الفاصلة ومضى شهر سبتمبر فيما يمكن وصفه بالهدوء كذلك مضى الشطر الأكبر من شهر اكتوبر ثم جاء الوقت المناسب الموعود وبلغت الحالة أقصاها ونضجت الثمرة نضوجاً كاملا وأشارت إلى صاحبها فكان عليه أن يعجّل فيقوم بضربته ويحظى بأمنيته .

إضرب بشدة ، إضرب أولا ، واضرب دائما .

فى أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٤٢ تحدث مستر تشرشل عن الموقف الحربى فى العلمين فقال :

« هناك أمر أحب أن أجلوه الجلاء كله ذلك أننا معتزمون أن نقاوم إغارة العدو عن مصر وعلى وادى النيل وأن نصده عنهما بنفس القوة والعزم اللذين نقاوم بهما إغارته على أرض انجلترا ذاتها ونصده عنها ، وسيجلب إلى هنا كل شىء يمكن جلبه فى السفن أو عن طريق الجو لطرد العدو إلى الوراء على صورة تذهب بمقدرته على البقاء ، ونحن معتزمون أن نعمل كل شىء تصل إليه قوتنا لتحقيق هذه الغاية »

قال ذلك فى الوقت الذى كان يغمر الصحراء المصرية جو من الترقب والانتظار وبوادر تنم عن احتمال استئناف الهجوم بعد فترة السكون التى سادت الشهرين الماضيين .

وقد استعد الفريقان فالفرق الألمانية المصفحة قد عُززت بنجدات وأصابت قسطاً من الراحة بعد مرحلة الإجهاد العاتية التى مرت بها ومع

هذا فلا يمكن القول بأنها كانت فى مركز يتيسر لها فيه القيام بهجوم كامل النطاق ، وكانت الهجمات التى قامت بها القوات البريطانية فى القطاع الشمالى خلال بضعة أيام ماضية قد أقنعت المحور بأن أية محاولة تحاولها قواته لاختراق هذه الساحة لن تكون شاقة فحسب ولكنها تكلف غالياً من الأرواح والعتاد فى وقت يقتضى الأخذ بأشد الاقتصاد فى هاتين الناحيتين معاً .

وفى ذلك الوقت الذى يستجمع فيه كل فريق أقصى ما يستطيع من المعدات وصل مستر تشرشل إلى الميدان . . ولم تكن زيارة لتفقد الخطوط ومراجعة الخطط فحسب ولكنه ذهب ومعه بشرى الإمدادات السخية التى أرسلت من انجلترا و بقية أجزاء الإمبراطورية وذهب أيضاً ومعه قيادة جديدة وتصميات تم البحث والبت فى شأنها .

فقد أعلنت وزارة الحربية البريطانية تعيين الجنرال السير هارولد الكسندر قائداً عاماً للشرق الأوسط خلفاً للجنرال السير كلود أوكنلك ، والقائد العام الجديد اشتهر بأنه كان آخر رجل ترك دنكرك وكان القائد البارع الذى حارب ببسالة فى بورما . . وتعيين اللفتنانت جنرال برنارد مونتجمرى قائداً للجيش الثامن خلفاً للجنرال رتشى .

وجاء شهر أكتوبر يحمل فى طياته أحداثاً كبرى وكان الحدث المنتظر لا يعنى تقرير معركة فحسب ولكنه سيكون الحدث الفاصل فى أمر حملة تاريخية كبيرة فإما أن تهزم القوات الانجليزية وتتحطم

قوتها فتفتح الأبواب لجنود المحور فتندفع نحو غايات خطيرة تغيّر من وجه الموقف الحربى العام وتكون ذات أثر حاسم فى مجرى الحرب و إما أن تنتصر فتوقع بخصومها الهزيمة وتدفع بهم إلى انكسار أخير وتجليهم عن الصحراء المصرية فينفسح الطريق أمامها إلى برقة ثم طرابلس وتحقق ما عجزت عنه من قبل فتواصل انتصاراتها فى تونس حتى تقضى قضاءً نهائياً على قوات المحور فى شمال إفريقيا . . و يكون لهذه النتيجة بعد ذلك ما يكون من تغيير فى الموقف الحربى العام و بدأ النهاية فى هذا الصراع العالمى الكبير .

ولو أننا ألقينا نظرة فاحصة على الموقف الحربى فى ذلك الحين أى فى شهر أكتوبر لاستدللنا على النتيجة سلفاً وذلك بمراجعة عوامل النصر عند تقدير موقف الطرفين المتحاربين .

(١) ميدان القتال البرى : يقف الجيشان المتحاربان فى خطين متقابلين وتستند القوات الإنجليزية إلى قواعد حليفتها فى وادى النيل ومن خلفها خطوط مواصلات جيدة تأتى من مختلف أجزاء الإمبراطورية وتحمل الإمدادات من الجنود والمهمات والأسلحة ، وتشعر القيادة الإنجليزية والحكومة بخطورة الموقف وتجدّان لإمداد قواتهما بكل ما فى الطوق لكسب هذه الموقعة الفريدة ، وقد تعدلت القيادة وولى أمرها قادة أكفاء تثق الحكومة بكفايتهم وتعتمد عليهم فى تحقيق هذا الغرض الكبير الذى يعد فاتحة أغراض الحرب النهائية .

وفى الخط الثانى تقف قوات المحور ونصفها من الألمان وهم رجال حرب ذوو كفاية ومقدرة ومعداتهم من النوع الممتاز ولكن تحطمت أعداد منها أو فقدت ولم تسعفهم مواصلاتهم الطويلة المهددة من استكمال عدتهم وإحضار ما يحتاجه الموقف من أدوات وأسلحة تعطى التفوق الساحق الذى تحتاجه عملية كبرى فاصلة .

٢ — المدفعية : كانت المدافع أكثر الأسلحة تدفقا على الجيش الثامن وكان الموقف يتطلب حشداً كبيراً من مدافع الميدان والمدافع المضادة للدبابات والطائرات حتى يتمكن أحد الفريقين من تدمير دفاعات الآخر ووحداته المدرعة وكانت كفة المدفعية الإنجليزية راجحة رجحاناً ملحوظاً وحاسماً .

٣ — الوحدات المدرعة : حدثت عدة معارك قبل أن تصل القوات المتحاربة إلى خطوطها فى العلمين وكانت هـذه المعارك من نصيب الدبابات الألمانية التى أحدثت الهزيمة للإنجليز ودباباتهم ودفعتهم فى غياهب الهزيمة الصحراوية المروعة ، ولكن هذا لا يغفل عن ذكر الخسائر التى تعرضت لها الدبابات الألمانية ، كما أن المعارك التى حدثت فى ساحة العلمين قد زادت من هذه الخسائر ، وقد ذكرنا قبلا أن شحنات من الدبابات قد وصلت إلى الألمان وأنهم تمكنوا فى فترة الراحة من إصلاح بعض دباباتهم ، وفى الناحية الثانية نجد أن الإنجليز قد بدأوا عملياتهم فى العلمين بقوة متواضعة من الدبابات ثم انهالت عليهم

فى سبيل الإمدادات أنواع جديدة أمريكية متفوقة فأصبح لهم تفوق ملحوظ فى عدد القوات المدرعة .

٤ — السيادة البحرية : لم تستطع سفن المحور وهى سفن الأسطول الإيطالى بمساعدة القوات البرية مساعدة كافية ، وقد تعرضت للبحرية الإنجليزية فى أكثر من مرة فهُزمت أمامها وقلّ أثرها فى الموقف ، وقد استطاعت دول المحور أن تستخدم المياه الإقليمية الفرنسية فى تونس ولكن ذلك لم يعفها من الخسائر ، كما أن خط المواصلات المديد من تونس إلى مصر كان يضعف من شأن هذه الإمدادات .

٥ — خطوط المواصلات : وقد جاء ذكر موضوع المواصلات أكثر من مرة فى سياق الحدث عن عمليات الصحراء والحقيقة أنه الموضوع الأساسى فى هذه الساحات ، وفى كل مرة كانت القواعد تبعد وخطوط المواصلات تمتد ، كنا نرى القوات تأخذ فى فقد السيطرة التامة التى لها على الموقف فإذا ما صُدمت صدمة قوية عادت أدراجها بسرعة كبيرة حتى تصل إلى قواعدها وتقصر خطوط مواصلاتها إلى أقصى ما تستطيع حتى يمكن أن تتمالك أمرها وتنظم صفوفها وتستعيد تفوقها .

وفى هذا الموقف كانت قوات المحور بعيدة عن قواعدها بنحو ٧٠٠ ميل من بنغازى وكانت خطوط موصلاتها هذه المديدة معرضة لهجمات جوية مستمرة كما كانت القواعد ذاتها تحت خطر الضرب من البحر والجو .

وقد ذكرنا عدة عناصر من عناصر الحرب التى تقرر أمرها دون أن

نذكر القوة العددية التى كانت من قبل أولى هذه العناصر، ولكن العدد قد تحلل فى هذه الحرب الحديثة إلى عدد الدبابات وأنواعها وأحمالها وأسلحتها وإلى عدد الطائرات وطرزها ونيرانها . . الخ وإلى قيمة الجنود وكفايتهم فى القتال وما تنطوى عليه صدورهم من روح معنوية ورغبة فى دحر أعدائهم . . ولكن يجب أن نذكر المحاولات التى بذلتها الحكومة الإنجليزية فى تقوية صفوف جندها وعنايتها الشديدة بإمدادهم بكل ما يحتاجه الجندى فى مثل هذه المرحلة من دوافع لبذل أقصى المجهود، ولا شك أن تغيير القيادة وإسنادها إلى شخصيات عالية موثوق بها قد أوجد فى الموقف روحاً جديداً من الاطمئنان والثقة والتفاؤل والتصميم الحاسم .

وكان الموقف سيقرر فى جانب الطرف الذى يحرز مدفعية كبيرة شديدة النيران لتدمير الدفاعات وتشتيت القوات المتمسكة بها والذى يملك قوة هجومية ساحقة تستطيع أن تخترق الخطوط المقابلة اختراقا بالمواجهه وهذان العاملان مرتبطان بمعركة الإمدادات التى كانت تقررها حالة المواصلات ووسائل الدفاع عنها ومرتبطان قبل ذلك بالموقف الحربى العام ومقدار التأثر بالحالة الحربية فى الساحات الأخرى .

ولهذا ملكت بريطانيا زمام الموقف فى صحراء مصر وصارت لها السيادة التى تمكنها من العمل ليس لكسب المعركة وحدها ولكن لتطويح قوات المحور وإخلاء الصحراء وبرقة نهائياً منها ثم التحول بعد ذلك إلى غزو طرابلس وربما تونس وإنهاء آخر سيادة للمحور فى أفريقيا .

معركة العلمين التاريخية

فى خطين متوازيين تقريبا يبلغ كل منهما نحو أربعين ميلا من ساحل البحر الأبيض عند بلدة العلمين إلى مشارف منخفض القطارة الذى لايعبر وقف الجيشان المتحاربان وقفة طويلة تعددت خلالها المحاولات من الطرفين لشق الطريق إلى الأمام ، ولم تترك لأحدهما فرصة للنيل من الآخر والسعى لتحطيم قواته وذلك بسبب الطائرات التى لم تهدأ يوما والدوريات التى كانت دائبة السعى موفورة النشاط . ولم يكن الموقف عادياً ولكنه كان موقف دقيق سيكون للغالب فيه فرصة لا مثيل لها تحمل نتائج خطيرة وتأثيرات فى مجرى الحرب بعيدة المدى .

وقد بسط مستر هربرت موريسون وزير داخلية انجلترا الهدف الذى يرمى إليه كل من الفريقين المتقاتلين من خوض غمار المعركة فقال « إن قتال المحور فى الميدان المصرى جزء من سعى يبذله للاتصال باليابان عبر المحيط الهندى وفتح باب جديد لمهاجمة روسيا أما نحن فإن أملنا هو إلقاء رومل خارج إفريقيا ولا ريب فى أن إعادة فتح البحر المتوسط ستكون الخطوة الكبيرة الأولى فى سبيل استخدام السرعة والمرونة وحرية العمل فى البحار على نطاق واسع » .

وإذن فهى معركة ذات أثر حاسم فى نظر الحلفاء ودول المحور وقد كانت خطوط الحلفاء والمحور تشتمل على نطاقات من الألغام بينها نقط قوية ومواقع للرشاشات والأسلحة المضادة للدبابات ، ويرابط كل من الجيشين فى جبهة ذات استحكامات دفاعية متينة يستند جناحاها على نقطتين لا يمكن الالتفاف حولهما وهى حالة تكره المهاجم على استخدام المدافع الثقيلة وأستار النيران وقنابل الطائرات لتدمير الدفاعات قبل أن يبدأ الاختراق بالمواجهة .

والشيء الذى جد على استحكامات الميدان فى هذه الساحة هو استخدام الألغام البرية استخداما سريعا واسع النطاق وقد سبق أن تعطل الألمان أمام حقول الألغام البريطانية عند بير حكيم فكانت طريقة رومل هى تطهير مسالك فى وسطها بضربها بنيران المدافع وقنابل الطائرات ثم يقوم المهندسون بتوسيع هذه الممرات لتتمكن المشاة والدبابات من التقدم . . وكان الجيش الثامن قد حارب إلى نهاية أطول خط تموين وصلت إليه قوة محاربة فى العالم وقد صادف فى هذه المرحلة كثيراً من الأحداث فأحرز النصر أو دارت عليه الهزيمة وفى كلتا الحالتين استفاد خبرة وازداد تدريباً ووضحت أمامه أساليب الحرب الجديدة وواجه فى متعدد المراكز أنواعا من الجنود وأدوات القتال والأسلحة مما جعله قادراً على مواجهتها فيما بعد بثقة وعزيمة . فلما انتهى به الأمر إلى خط العلمين وقف طيلة أربعة شهور أو تزيد

يقوى مراكزه ويدعم دفاعاته ويختبر أعداءه ويهجم عودهم بينما كان تدريبه متواصلا ومحاولاته وخططه تبحث وتدرس وقواته تزيد وأسلحته تشتد بما أحضر من إمدادات وافرة إلى الشرق الأوسط .

وفى الناحية المواجهة وقف المارشال روميل على رأس جنوده من الألمان وحلفائهم من الإيطاليين وقد قادهم مرحلة طويلة كسر بها قوات الحلفاء وأخذ يتعقبها وينزل بها الخسائر وكاد أن يوقعها فى كارثة نهائية لولا أن تماسكت فى خط العلمين ودافعت ببسالة وصدت السيل الجارف وصمدت للحرب الخاطفة ، ولا شك أن هذه الحملة النازية لم تكن فى أحسن حالاتها بعد المرحلة الطويلة الشاقة عبر الصحراء وبعيدا عن قواعد التموين وأمام خط مواصلات مديد تهاجمه الطائرات وتهدده القوات البحرية المتفوقة ومع ذلك فإن روميل لم ينقطع عن مهاجمة الحلفاء وترقب الفرص ليقوم بضربته وقد أمكنه الحصول على إمداد لقواته من الدبابات والأسلحة وكان يشعر فى بعض فترات بأن دفة الأمور فى يده وأن فى استطاعته أن يعمل .

أما توزيع القوات فكان على صورة يلاحظ فيها أن الجيش الثامن كان أقل انتشاراً من قوات المحور التى قسمها روميل إلى قوة مدرعة فى الشمال وأخرى فى الجنوب مدعمتين ببعض الألمان وفى الوسط مشاة إيطاليون .

وقبل أن تنشب المعركة الرئيسية كانت القوات الانجليزية موزعة على النحو الآتى :

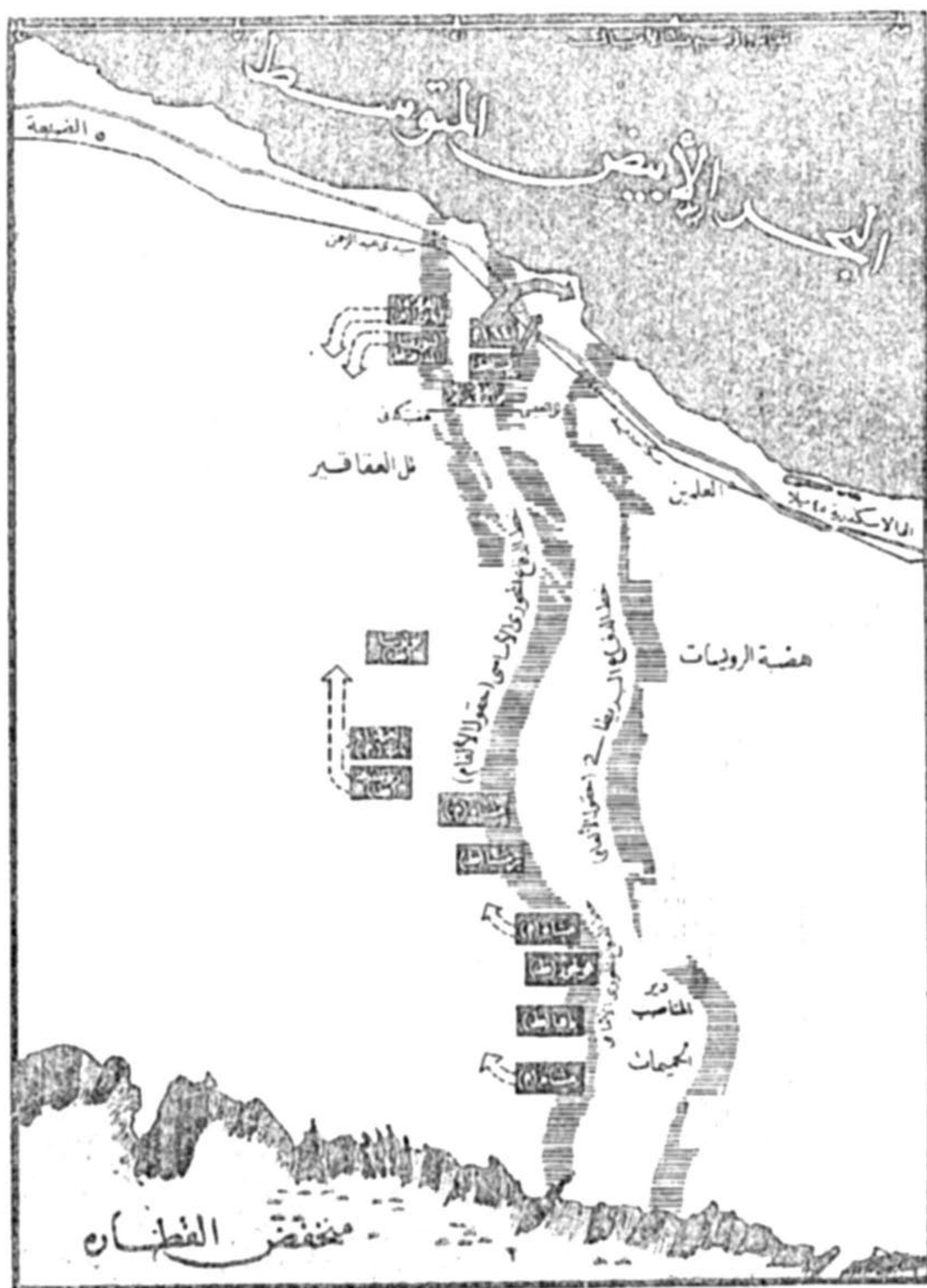
الفرقة الاسترالية فى الشمال تواجه تل العيصى ومنها إلى الجنوب قليلا فرقة جنود جنوب أفريقيا وفى الساحة الوسطى الفرقة الهندية وفى الخلف قوات احتياطية ثم الفرقة ٥٠ ومعها الفرنسيون واليونانيون الأحرار عند دير المنسى وفى الجنوب الفرقة الانجليزية تواجه الحميمات ، وكانت هناك قوة كبيرة سيجىء عنها الحديث عند ذكر دورها .

أما قوات المحور فكانت بالترتيب الآتى من الشمال إلى الجنوب :

فرقة البنزار ١٥ والفرقتان ١٦٤ ، ٩٠ الألمانيتين وفرقتا تريستا وليتوريو الايطاليتين — وفى الساحة الوسطى فرقة بولونيا وفرقة أرتريا المدرعة الإيطالية — وفى الجنوب فرقة البنزار ٢١ ومشاة ألمان وفرق برشيا وفولجور وبافيا الإيطالية .

ونلاحظ أيضاً أن رومل كان يرمى من هـذا التوزيع أن يترك المنطقة الوسطى من خطوطه ضعيفة متوقعاً أن يقع الجيش الثامن فى خطأ مهاجمتها ومحاولة شق طريقه خلالها فيقع حينئذ بين فرق البانزر من الشمال والجنوب . . ! ولكن قيادة الجيش الثامن لم تقع فى هذا الشرك وكانت تضع من ناحيتها خطة تنطوى على الحكمة والدراية وتحمل على المفاجأة أيضاً .

فقد كان على الجيش أن يخترق خطوط العـدو فى أى ساحة إلى



معركة العلمين الكبرى

مسافة ٦٠٠٠ ياردة تقريباً فى الضربة الأولى ليجتاز حقول الألغام أو الخنادق ثم الاستفادة من هذه الثغرة إلى أقصى حد ولذلك أنشئت وحدة جديدة باسم الفليق العاشر مكوّناً من نحو ٥٠٠٠٠ رجل و به أحسن أنواع الدبابات وقد سُحبت هذه القوة من ميدان القتال على أثر صد قوات رومل فى خط العلمين ووقفت جهودها على التدريب والتمرين والاستعداد خلف الخطوط بخمسين ميلا وفى الساعة المناسبة كان هذا الفليق هو الصاعقة التى انقضّت من خلال الثغرة وقضت على جيش رومل وقد نفذت هذه الخطة البارعة فى الصحراء تحت ستار باهر من التخفى ولم يكن هناك شك فى أن رومل متوقع هجوماً كبيراً بل كان يعرف ذلك جيداً وقد كانت كل الدلائل تنطق بذلك . . ولكن أين يقع هذا الهجوم ومتى كيف يقع فكل هذه الأشياء كانت خافية ، وقد كانت طائرات الاستكشاف الألمانية ترصد أعمال الفليق العاشر وتنقلها إلى القيادة التى كانت تتوقع أن لا يحدث الهجوم المنتظر قبل أن يترك هذا الفيلق مكانه و يشترك فى العمل . . ولكن ما حدث كان مفاجأة حقاً فقد تحرك الفيلق العاشر ليلاً تاركاً خلفه المعسكرات خالية من الجنود ولكن مليئة بالدمى والأجسام الهيكلية التى كانت تمثل الدبابات والعربات والجنود فى صورة متقنة فلما حدث الهجوم فعلاً كان مفاجأة تامة فالجيش الثامن هجم فى وقت غير متوقع ولم يهاجم النقطة الضعيفة كما كان منتظراً ولكن هاجم أقوى ساحة فى الميدان

وكانت الخطة تبدأ بوابل قوى من قنابل الطائرات وعاصفة راعدة من نيران المدفعية لتحطيم الدفاعات ثم هجوم المشاة ومعها المهندسون لتنظيف الطريق وأخيراً تكون الجولة النهائية للمدرعات وبذا كان كل شيء فى ذلك الهجوم مفاجأة لقيادة المحور فى الوقت والطريقة والجهة والقوة المنقطعة النظير

وبدأت المعركة فى الساعة التاسعة والنصف تماماً من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ فعلى طول المواجهة كانت المدافع الانجليزية مبثوثة بحساب مدفع كل ٢٣ ياردة وكانت العمليات قد بدأت فى الليل واختيرت ليلة قمرية ساطعة الضوء وفى الدقيقة المحددة انطلقت أفواه المدافع مرة واحدة وهى تقذف قنابلها المدمرة كالوابل محدثة ستاراً شديداً عنيفاً من النيران ، واستمر الوابل على أشده عشرين دقيقة وأخذ يتكرر من وقت لآخر وفتحت قوات الحلفاء ثغرة فى حقول ألغام المحور ، وقد وصف الميدان بأنه شعلة من نار القنابل المتفجرة والأنوار الكاشفة والأغراض المشتعلة بالنيران من ساحل البحر إلى منخفض القطارة .. وفى الصباح حمل البرق إلى أنحاء العالم البلاغ الذى أصدرته قيادة الشرق الأوسط عن الهجوم وقد جاء فيه « هجم الجيش الثامن تؤيده قوة جوية كبيرة فنشب قتال عنيف اشتركت فيه مقاتلات قسم الصحراء التابع لجيش الولايات المتحدة بالشرق الأوسط وقامت فى الوقت نفسه قوات الحلفاء البحرية بغارة على مراكز المحور الساحلية عند مرسى مطروح »

وفى الساعة العاشرة من صباح ٢٣ اكتوبر تقدمت المشاة فى الساحة الشمالية وفى فجر اليوم التالى بدأ الاختراق فى حقول الألغام لشق الطريق للقوات المدرعة واستمر العمل هادئاً وفى حماية المدفعية ، فلما كانت ليلة ١/٣ نوفمبر انتهت المرحلة الأولى وبدأت العمليات .

وكان تعاون الجيش والقوة الجوية وثيقاً جداً فى المعركة . . لم تكن هناك قيادتان ، أو كما قال الجنرال مونتجمرى :

« سيكون الجيش الثامن والقوات الجوية التى تشد أزره كتلة واحدة فكلاهما يعمل لتنفيذ خطة واحدة لا خطتان إحداهما للبر والأخرى للجو . . . . هذا مصدر قوتنا العظيمة »

فعلى طول الرقعة وعمقها ابتداء من سبتمبر حتى ابتداء الهجوم كانت القوة الجوية تدق مواقع المحور الخلفية وخطوط مواصلاته ونقط التموين والمطارات ثم أخذت تحمل على العدو عند ابتداء المعركة وسجلت رقماً قياسياً فى عدد عملياتها التى اشتركت فيها قاذفات القنابل الخفيفة والمتوسطة وطائرات القتال فأصابت عربات الذخيرة ونسفت مستودعات الأسلحة وسجلت إصابات فى مدافع الميدان وسيارات النقل وشبت الحرائق وسكّنت بعض مراكز الدفاع ، ووجهت الطائرات من قاذفات القنابل همها إلى الأهداف المجاورة للثغرات التى فتحت فى حقول الألغام لمساعدة القوات البرية على شق طريقها .

وكانت الغواصات تعمل بنشاط كبير على طول الشاطىء لإعاقة

ومنع الإمدادات من البحر حتى ان ⅘ المراكب التى خرجت من الموانى الإيطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت وفى أثناء المعركة البرية قام الأسطول باغارات متواصلة على المراكز الساحلية بواسطة سفن الجيب وهى زوارق طوربيد سريعة صنعت حديثاً فى المصانع الأمريكية .

وكان نشاط المحور الجوى ضيق النطاق ، وكان دفاعياً ، فقد انهزمت طائراته ولم يعد لها نفوذ فى سماء المعركة ، ومنذ يوم ٢٣ اكتوبر أحرز السلاح الجوى البريطانى سيطرة تامة فقام بحملات عنيفة وهجوم ساحق على مطارات المحور وخطوط مواصلاته ومواقع المدفعية ونقط تجمع القوات المدرعة وجنود المشاة .

انتهت المرحلة الأولى من معركة مصر كما قدمنا بتقدم جنود المشاة ثم تبعها المهندسون — فإن الأرض التى تكتسحها المشاة يجب أن تنظف من الألغام قبل أن تصير آمنة لمرور المدرعات . . . فالألغام للدبابات كالأسلاك للمشاة ، وقد كانت تدفن تحت سطح الرمل بمجموعات وفواصل مختلفة وكانت تكتشف بآلات كهربائية تشبه المكانس ذات الأيدى و بأجهزة مشابهة .

وقد عمل مهندسو الجيش الثامن فى الليل مدة أسبوعين ، وفى الأسبوع الأول من المعركة كانوا يعملون تحت الخطر و بين المقذوفات والويلات وقد كانت مهمتهم عسيرة ، فإن فن وضع الألغام قد وصل إلى تقدم كبير وكانت العملية تتطلب إحتراساً وافراً و بحثاً دقيقاً ، ولكن المهندسين

نجحوا وفرغوا من مهمتهم بسرعة وأزاحوا الموانع والمصائد وفتحوا الطريق للقوات المدرعة .

وفى ٢ نوفمبر فرغ المهندسون من أعمالهم وانتهت المرحلة الأولى من مراحل المعركة وتقدمت الدبابات للاتصال بدبابات المحور ، وبالمناسبة نذكر أن الجيش الثامن كان يحس نقصاً وضعفاً فى دباباته وأنواعها حتى شهر يوليو ولكن فى أكتوبر لم يعد هناك فارق فقد وصلت دبابات الكروسدور من بريطانيا ودبابات جرانت وشرمان من أمريكا وهذان النوعان يساويان أحسن الدبابات الألمانية الثقيلة كما ظهر فى المعركة .

فى الأسبوع الأول من الهجوم ألقت قاذفات القنابل ما يقرب من ٨٠٠طن من القنابل على قوات المحور فى منطقة القتال ومطاراته الأمامية ولذا كان لسلاح الجو أثر خطير فى المعركة . . وقد لوحظت حقيقتان فى هجوم الجيش الثامن أولها أن قواته المدرعة ندر أن هوجمت من الجو والثانية أن ٥٥٠ طائرة معادية أسقطت أو اضطرت للهبوط كما ذكرت البلاغات الرسمية . . وقد لعبت الطائرات دوراً هاماً فى إحباط الهجمات المضادة أيضاً .

ومضى أسبوع على ابتداء المعركة وفيه أخذت القوات البريطانية فى توسيع الممر فى المنطقة التى احتلتها وحدثت معارك صغيرة فى أمكنة مختلفة من الساحة الشمالية اشتركت فيها وحدات مدرعة من قوات الفريقين ولكن القوات الإنجليزية احتفظت بالمنطقة التى استولت عليها فى

بداية الهجوم وأخذ الجيش الثامن فى تطهير حقول الألغام ببطء ، وتوسيع الثغرات التى أُحدثت فى الاستحكامات والاقتراب شيئاً فشيئاً من الخط الذى يمكن عنده للقوات المدرعة أن تعمل وفى أثناء ذلك كانت قوات المحور تقوم بكرات متوالية اشتركت فى مواجهتها و إحباطها القوات الجوية التى كانت تواصل ضغطها الرهيب وتضرب بشدة .

وفى ليل ٣٠/٣١ أكتوبر بدأ زحف البريطانيين وهجومهم الكبير ، وقد بدأ ذلك بالستار المعهود من نيران المدفعية ، وتم الزحف على مقربة من الساحل بنجاح لم يكن السبب فيه براعة الخطط التى وضعت ونفذت بدقة فحسب ، ولكن جاء أيضاً بسبب المفاجأة التكتيكية فالفيلق العاشر المكون من فرقتين مدرعتين وفرقة مشاة نيوزلندية كان يتدرب خلف خطوط القتال وقبل نشوبه بمراحل ، فجاء إلى الميدان فى الساعة المناسبة موفورة العدة كامل التأهب .

وفى فجر ٢ نوفمبر تقدمت قوة إنجليزية مدرعة خلف الخطوط الألمانية بينما كانت قوات مدرعة أخرى تضغط فى الناحية الغربية و بدأت معركة الدبابات فى تل العقاقير وكانت نقطة البداية والتحرك . . وقد عمد الألمان إلى توجيه هجمات مضادة وفى نقط مختلفة دون أن تنجح واحدة منها ، وكان المشاة الانجليز مستمرين على شق طريقهم بين حقول الألغام والمراكز الحصينة والفخاخ وغيرها من العقبات والعراقيل وكان جنود المشاة فى هجومهم مؤيدين بستار هائل من النيران ومتى

تم فتح بعض الطرق أو الثغرات تدفقت فيها الدبابات والوحدات الميكانيكية لمقابلة وحدات العدو السريعة وقواته المدرعة .

وقد تقررت المعركة فى الساحة الشمالية حيث أعقب معركة الدبابات الإختراق وفى الساحتين الوسطى والجنوبية كان القتال ثانوياً وتابعاً للعمليات فى الساحة الشمالية وقد أحدثت الضربة الأولى توزيع قوات المحور فى ناحيتين ولم يمكن الاتصال بينهما ثانية .

وقد قاتل روميل بشدة لرد الجيش الثامن من الطرف الغربى للثغرة التى فتحها المشاة جنوبى المنطقة الساحلية وكان يؤيد قواته المصفحة بستار من النيران المضادة للدبابات ولكن قوات الحلفاء تغلبت على مقاومته وأسرت عدداً كبيراً من الجنود وقد قال بعض الأسرى أنهم كانوا فى حالة ذهول من قنابل الطائرات والمدافع التى كانت تصب عليهم باستمرار أثناء الليل والنهار .

فالحدث الأول الفاصل فى معركة العلمين كان اختراق المشاة والحدث الثانى كان معركة الدبابات فى العقاقير وقد مهد الحدث الأول للثانى وكان الثانى معززاً للفوز الأول وقد حدثت معركة الدبابات هذه يوم ٢ نوفمبر وفى ذلك اليوم دفع الألمان كل قواتهم المدرعة حيث كانت القوة الانجليزية قد أحدثت الاختراق وثبتت فى المنطقة مشهورة وتقدمت الدبابات الانجليزية فدار قتال شاق عنيف وحدثت خسائر فادحة فى الناحيتين وهزمت الدبابات الألمانية وانتهت المعركة فى ساعات

وفضّل روملى أن يسرع بالعودة وأن ينقذ قواته ويخرج بها من براثن الفناء أو الأسر وكانت هذه المهمة من أشق المهام العسكرية وخصوصاً فى حالة فقد السيطرة الجوية . . . وقد وصفت ساحة العقاقير فى رسائل المراسلين الحربيين بأنها « مقابر الدبابات » أو معرض المركبات المحطمة ، وفى ليل ٣/٢ نوفمبر احتل الإنجليز العقاقير وقالت الأنباء أن ٢٦٠ دبابة المحور قد وقعت فى أيدينا مأسورة أو محطمة .

وبذلك حطمت معركة ٢ نوفمبر قوات المحور وفى ذلك اليوم ظهرت علائم انسحابها على طول الخط . وفى يوم ٣ نوفمبر بدا ذلك حقيقة واضحة ، وفى الجنوب لم تستطع القوات الايطاليـة أن تتراجع كثيراً وخصوصاً جنود المشاة الذين جردوا من المركبات فأخذت منهم أفواج الأسرى ، كذلك توقفت الفرقة ١٦٤ الألمانية ولم تستطع أن تتراجع ، وتراجعت بقية القوات الألمانية تاركة خلفها نحو ثمانية آلاف أسير بين القتلى والجرحى وقد قتل الجنرال فون ستوبى نائب روملى وأسر ريترفون توما قائد جيش أفريقيا الألمـانى وأسر أيضاً قائدى فرقتى برشيا وترنتو الايطاليتين وقد قدرت التقارير الرسميـة للقيادة البريطانية خسارة المحور بـ ٧٥ ألف رجل وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع على الأقل

وبعد كسب معركة الدبابات بدأت المطاردة وفى ٤ نوفمبر أذاعت قيادة الشرق الأوسط بلاغاً جاء فيه « تتقهقر قوات المحور فى الصحراء

الغربية بصفة نهائية بعد هجمات قواتنا البرية والجوية المتواصلة مدة اثنى عشر يوما وليلة ، وتهاجم قواتنا البرية وقوات الحلفاء ليلا ونهاراً وفى غير رحمة طوابير العدو التى سادها الاضطراب وعدم النظام »

« وقد دمرنا حتى الآن أكثر من ٢٦٠ دبابة ألمانية وإيطالية وغنمنا أو حطمنا ما لا يقل عن ٢٧٠ مدفعاً ومن المتعذر فى المرحلة الحالية من القتال إحصاء الغنائم إحصاء تاماً »

« وفى أثناء هذه الأعمال الحربية دمرت قواتنا الجوية التى تحملت خسارة طفيفة وأعطبت أكثر من ٣٠٠ طائرة فى معارك جوية وحطمت أو عطلت مثل هذا العدد على الأرض »

« وفى البحر أغرقت قواتنا البحرية والجوية ما حمولته خمسون ألف طن من السفن وأتلفت مثل هذه الحمولة من السفن التى تحمل الإمدادات إلى شمال افريقيا »

« ولا يزال الجيش الثامن يواصل زحفه إلى الأمام ... »

وقال البلاغ الايطالى :

« إن معركة دامية عنيفة دارت فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين العلمين وفوكة بين دباباتنا ومشاتنا وبين الوحدات التى تماثلها من قوات العدو وبعد مقاومات عنيفــة غير عادية انسحبت الجيوش الايطالية والألمانية غرباً وكانت خسائرنا فادحة »

ووجه الجنرال مونتجمرى إلى قواته رسالة جاء فيها :

« لقد استغرقت المعركة الحالية ١٢ يوماً حتى الآن قاتلت فيهـا

قواتنا قتالا عنيفاً رائعاً أنهك العدو ، إن العدو الآن فى قبضة أيدينا وهو على وشك الدمار وإنى أهيب بجميع القوات أن تواصل ضغطها على العــدو وألاّ تتراخى فى ذلك لحظة ، لقد أضحى النصر النهائى قريب المنال . . »

وكان موقف روميل حرجاً ومن المواقف التاريخية العنيفة التى واجهها قادة عظماء فقد هزمت قواته بعد أن أُخرجت من مراكزها الحصينة وفقد مراكز تموينه الأمامية مع استهداف مواصلاته باستمرار لنيران الطائرات والمدفعية ، وحدث ذلك فى نهاية خط تموينه المديد فكاد موقفه أن ينقلب كارثة نهائية ، وقد حاول تدمير كل ما يستطيع تدميره فى الصحراء وكان يصنع كل عراقيل يجيدها لسد الطريق ، وأبدى فى فوكه مقاومات ناجحة ريثما اجتمع شمل قواته و بدأ خطة الانسحاب ، ثم تخلى عن فوكه يوم ٦ نوفمبر واندفع غرباً وأعطته الأحوال الجوية التى أعاقت التقدم — فرصة مناسبة لتنظيم قواته وفى ٨ نوفمبر استمر الزحف و بلغ مرسى مطروح واستولى الإنجليز على بقبق يوم ١٠ وفى اليوم التالى سقطت حلفاية والسلوم . . وهكذا كانت الحوادث تتطور بسرعة عاجلة ، وارتدت قوات المحور إلى حدود مصر ، وفى يوم ١٢ تم تنظيف الحدود المصرية وأسر آلاف من الإيطاليين ، ووجد الجيش الثامن الطرق مملوءة باللوريات والمهمات التى دمرتها الطائرات .

أما الفرق الإيطالية فى الجنوب وقد كانت تتألف من ٦ فرق معظمها من المشاة فقد كانت مطوقة فلما وصل الجيش الثامن إلى الضبعة

وفوكة وقطع مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها سلمت جميعاً ، كذلك تم تنظيف « الجيوب » وأخمدت جميع المقاومات فى صحراء مصر قبل أن ينتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٤٢

وانتهت الحرب فى مصر

وبدأ القتال فى برقة

وقد كان لهذا الانتصار دوى عظيم فى العالم وعُدّ انتصاراً تاريخياً حاسماً فاحتفلت به الإمبراطورية البريطانية ودقت الأجراس فى جميع أراضيها صباح ١٢ نوفمبر تحية لهذا الحدث العظيم

وقال مستر تشرشل

« لقد قال السيد فنزيلوس أن انجلترا فى جميع حروبها تربح معركة واحدة وهى المعركة الأخيرة ، ويلوح لى أننا بدأنا هذه المرة مبكرين !. فقد نال الجنرال الكسندر ومعه قائده ومعاونه العظيم الجنرال مونتجمرى انتصاراً باهراً حاسماً فيما ينبغى أن نسميه « معركة مصر » فلقد هزم جيش رومل وأصابه الاندحار وحل به التلف إلى حد كبير كقوة مقاتلة

ونحن لم نخض هذه المعركة لنربح فيها مواقع أو مساحات واسعة من الأراضى الصحراوية ولكن لنحقق فكرة واحدة وهى تحطيم قوة العدو المسلحة

إن النصر الذى أحرزناه قد بعث الأمل الكبير فى نفوسنا بأنه سيكون نصراً حاسماً نهائياً فيما يتعلق بالدفاع عن مصر ، على أن هذه ليست النهاية ، ولا هى بداية النهاية ولكن ربما تكون نهاية البداية ! »



ويفل



اوكنلك



جرزياني



الكسندر



مونتجمري



رومل

قادة حرب الصحراء

انتصار الصحراء

إن النصر فى الحرب لا ينزل هبة ولا عطاء ولكنه ثمرة مجهود عنيف ونتاج التعب والسهد والدم والعرق المتصبب ، إنه الجائزة التى تظفر بها الأمم بفضل جهادها وكدّها وتضحياتها ، وغصن الغار الذى يظفر به الجيش الذى يواجه الظروف القاسية بعزيمة وجلد و إغفال عن التضحية واندفاع نحوالهدف بغير ما خوف ولا ارتياع ، أنه الغاية التى من أجلها يعمل كل مواطن و يلاقى فى سبيلها الحرمان والمشقة ... وما كان النصر فى وقت من الأوقات وقفاً على قوم دون قوم مع ما لصفات الجنود التقليدية من أثر يدفعها إليه ، فالحرب سجال بين خصمين يبذل كل منهما جهده و يقدم خير ما عنده لكسب المعركة وتحقيق الغرض . . فعند ما يبحث رجل الحرب موقف خصمين على هذه الشاكلة فعليه أن يتغافل عن الناحية العاطفية و يأخذ فى بحث المواد والموارد والأسلحة والمواصلات وأنواع الاستعداد التى يبذلها كل فريق ، و يتصفح عناصر الحرب عند كل منهما ليكون حكمه عن المعركة عادلاً صحيحاً .

ومعركة كهذه التى حدثت بين الانجليز وجيوش المحور من الألمان

والايطاليين كانت تستوجب منا الاحتياط عند تقدير نتيجتها فلا شأن لهذا البحث بالأجناس التى تشتبك فى القتال ولا فى المبادىء السياسية وألوان الحكم ولا فى الغايات الحربية نفسها . فلهذه مجالات أخرى ، ولكن لنا فقط عوامل الحرب وما يملكه منها كل فريق فنضع فى كفتى الميزان ما لصاحب الكفة من موازينه فإذا انتهينا من ذلك وجدنا كفة ترجح كفة دون أن يكون لأهوائنا تأثير على ذلك الميزان .

وقد قارنا بين الاثنين ووضعنا لكل" نصيبه فى كفته ، عاملا فعاملا ، وأخذ الميزان يتأرجح يمنة ويسرة حتى استقر نهائياً ، فقلنا هذه الكفة راجحة وسيكون لصاحبها انتصار الصحراء .

وفى سردنا لعوامل الحرب ونصيب كل فريق منها حاولنا دائماً أن نجمع الأدلة والبراهين التى تحقق نزاهة البحث ولم ننس ملاحظة الموقف الحربى العام وتأثيره على الموقف الخاص فى ليبيا فليس فى هذه الحرب العالمية عملية يمكن القول بأنها مستقلة عن غيرها أو قائمة بشأنها وحدها وانما الجهد الحربى واحد ، والإدارة التى تسيطر على مختلف الساحات واحدة تعطى وتوزع وتشير وتسحب وتعدل فيها جميعاً بما توحيه الخطة العامة . . .

فانشغال ألمانيا بحربها مع روسيا جعلت الحرب الافريقية ذات قيمة ثانوية وغرض فرعى بينما كانت انجلترا تعدها العملية الرئيسية ومفتاح التحول ، فقررت أن تعنى بها عنايتها بحرب فى انجلترا ذاتها ،

ولهذا أولتها كل جهد مستطاع وبذلت فيها مجمل نشاطها .

على أن الباحث فى هذا الموضوع يصطدم بلاشك مع عقبة لا يستطيع أن يحولها عن طريقه التحويل التام ، وهى وجهة النظر الثانية ! . . فى الخطة الرئيسية على الأقل ثم ما ألزمها بالتحويل أو اتخاذ صورة أخرى إذا حدث ذلك . . وقد يقول قائل أن المعرفة بالنظريات الحربية ودراسة أحوال الجنود والأسلحة والموارد . . الخ ، والبحث الصائب فى الموقف العام وتفرعاته ، كل هذا قد يمكّن من استقراء ما خفى من الخطط واستيضاح ما حجب من التصميات . ! ومع هذا كله فستبقى من البحث أجزاء غير واضحة الوضوح كله قبل أن يتكشف نقاب الحرب التى تحجب سحبها كثيراً من الحقائق والرغبات .

وقد شاهدنا كيف تطور الموقف فى معركه مصر ، وكيف كانت جميع الدلائل تشير بأن الكسب سيكون للقوات الإنجليزية التى كان لها الاستعداد الأوفر فاستطاعت بذلك أن تقوم بعمل تاريخى سيكون له مكانه بين فواصل الحرب . فقد كان انتصارها حاسما وضربتها قاضية لم يتمكن المحور بعدها من الصمود وأصبح موقفه ومستقبله معروفين سلفا فى ميدان أفريقيا الأخير .

وقد ذكر رئيس وزراء بريطانيا عقب تصفية الموقف أن الغرض من المعركة قد تحقق وهو القضاء على قوات المحور قضاء لا يجعل منها قوة مقاتلة فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة . كما ذكر أن القتال كان عنيفاً إلى

أقصى حد بين البريطانيين والألمان وكان النضال دامياً رهيباً « وتجرع منه الألمان تلك الكأس من النار والفولاذ التى طالما أكرهوا غيرهم على تجرعها »

حدث ذلك كله فى وقت سمع فيه العالم نبأ خطيراً ومفاجأة منقطعة النظير فقد أعلن فى الثامن من نوفمبر بأن قوات برية وبحرية وجوية أمريكية نزلت تحت ستار التخفى فى عدة أماكن من ساحل أفريقية الشمالية الفرنسية « وكانت هذه الأعمال قد أصبحت ضرورية بسبب تهديد المحور المتزايد لهذه الأراضى »

حدث هذا بعد أن حلت الهزيمة بقوات المحور فى العلمين فكان عملاً ينطوى على تصميم حاسم .

وقد جاء فى التصريح البريطانى الأمريكى المشترك أن الهدف هو تحطيم القوات الألمانية والإيطالية فى أفريقيا .

وإذن فقد كان بدء الهجوم البريطانى على قوات المحور المرابطة فى منطقة العلمين الشرارة الأولى العنيفة من التيار الذى اندلعت نيرانه ليقضى قضاء نهائياً على المحور فى أفريقيا . وكان هذا إذن سبب هذا الاشتداد العظيم وحشد الجيوش والعتاد بصورة ليس لها مثيل فى صحراء مصر فالغرض الذى كانت تتوخاه القوات المتحالفة لا يقتصر على صد قوات وجنود المحور وردهم عن وادى النيل بل كان أبعد مدى لأنه يرمى إلى تغيير اتجاه القتال وتحويل سير الحرب ونقل ميادينها ولم تلبث

الحوادث أن جاءت بما يحقق ما كان يترقبه الكثيرون من وراء الإنتصار في العلمين ومطاردة قوات المحور مع تحميلها الخسائر في رجالها وسلاحها براً وبحراً وجواً ، فلما كان اليوم الخامس عشر من تاريخ بدء المعركة حملت موجات الإذاعة وأسلاك البرق إلى جميع أنحاء العالم ذلك النبأ الذي أشرنا إليه سابقاً وهو نزول نحو مائة وأربعين ألف جندي تحت قيادة الجنرال دوايت إيزنهاور في شمال أفريقيا .

وقد نزلت هذه القوات في أكثر من موقع على ساحل البحر الأبيض وفي المغرب الأقصى على ساحل الأقيانوس .

فإذا كان انتصار الصحراء بداية مرحلة جديدة في ميدان الحرب الأفريقي فإن إنزال قوات الحلفاء في الجزائر والمغرب تجعلها بحق كما وصفها رئيس وزراء بريطانيا بداية النهاية . . .

واشتد الموقف على روميل عنفاً وقسوة

وقيل أنه بين شقي الرحى ، إن عاجلا أو آجلا

وكان الجيش الثامن يتقدم بسرعة ويواصل مطاردته له .

وللمرة الأولى في هذه الحرب حدثت هزيمة كاملة لقوة ألمانية كاملة.

وحاول روميل أن يفعل شيئاً في خلال هذه المرحلة العنيفة بظروفها النكداء فأخذ يتراجع بأقصى سرعة ويعيق المطاردة بكل ما يستطيع، ومن ذلك نهوضه بمشاغلات قصيرة وهجمات مضادة سريعة وبث الألغام وتدمير الطرق من خلفه ، ومهما قيل من أنه متجه إلى الطرف الآخر

من قوسى الخطر فقد كان يعمل كجندى كبير إلى آخر طلقة وآخر رجل .

ووصل الجيش الثامن من العلمين إلى طبرق فى أسبوع وقطع ار بعمائة ميل وهى مهمة شاقة فى مطاردة غير هينة وطرق مليئة بالألغام والمصائد وفى يوم ٢٢ نوفمبر احتل بنغازى .

وكان هناك ثمة أمل فى أن يتمكن رومل أو يحاول الثبات فى العقيلة كما حدث ذات مرة ، فالأراضى بين العقيلة وسرت صالحة للدفاع وهى آخر خط يمكن الالتجاء إليه ، ولكن بدا أمام قيادة المحور أن تقرر أحد أمرين : فإما أن تحتمى فى خط العقيلة وتبدأ فى المقاومة و إما أن تسرع إلى تونس للاشتراك فى مقاتلة الخصم الجديد ، وقد انتهى القرار فى ١٤ نوفمبر وتم الجلاء عن العقيلة واستمر رومل فى ذهابه غرباً حتى دخل طرابلس ثم تونس .

وهناك حدث آخر فصول الحرب فى أفريقيا .

فلما كان اليوم الثالث عشر من شهر مايو ١٩٤٣ تم وقف كل مقاومة للمحور فى جميع أنحاء تونس وطهرت القارة الأفريقية من الجنود المعادين إلا من استسلم وألقى سلاحه .

ولا شك أن هذه الحملة التى انتهت هذه النهاية ودمرت جيشاً قوياً تدميراً كاملاً ستبرز فى صفحات التاريخ مثلاً رائعاً لأعمال حربية مجيدة فاصلة حققها انتصار الصحراء .

نهاية المطاف

بدأت حرب الصحراء المصرية فى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٠ بزحف القوات الايطالية بقيادة المارشال جرازيانى على مصر ، وقد احتلت سيدى برانى مساء ١٦ سبتمبر وبقيت زهاء ثلاثة أشهر داخل الحدود المصرية .

وفى السابع من ديسمبر بدأت الجولة الثانية من حرب الصحراء بهجوم القوات الإنجليزية بقيادة الچنرال سير أرشيبلد ويفل الذى استطاع فى عشرة أيام أن ينزل الهزيمة بالايطاليين ويقصيهم عن حدود مصر ، واستمر فى زحفه غرباً ، فاستولى على البردية يوم ٥ يناير ١٩٤١ وطبرق فى ٢٤ ودرنة فى ٣٠ ، ثم حدث اشتباك كبير فى معركه بدافوم كانت نتيجته هزيمة ساحقة للقوات الايطالية ، وأخيراً تم للإنجليز إخضاع ولاية برقة .

وبدأت الجولة الثالثة فى شهر أبريل من نفس السنة بزحف قوات المحور تحت قيادة الچنرال رومل القائد الألمانى الذى خلف المارشال جرازيانى فى القيادة العامة ، وكان زحفاً ناجحاً بلغ حدود مصر فى

السابع عشر من أبريل ، ولكن بقيت طبرق صامدة ولم تفلح قوات المحور فى الاستيلاء عليها .

وبدأت الجولة الرابعة فى الثامن عشر من نوفمبر ١٩٤١ عندما شرعت القوات الإنجليزية فى الزحف بقيادة الجنرال كننجهام وتحت إشراف الجنرال أوكنلك الذى خلف المارشال ويڤل فى القيادة العامة ، وبلغ ذلك الزحف مشارف البردية وطبرق وهناك دار القتال فى ميادين صحراوية متعددة الساحات كثيرة التنقل دون أن تحدث معركة حاسمة ثم حدث تغيير فى قيادة الجيش الثامن فتولاها الجنرال ريتشى فى الرابع والعشرين من نوفمبر ، فبدأت مرحلة جديدة نجحت فيها الزحوف الإنجليزية ، ففى التاسع من ديسمبر رُفع الحصار عن طبرق ، وتقدم الزحف بسرعة فى ولاية برقة حتى بلغت القوات المنتصرة بنغازى بعد ٣٧ يوما من بدء الهجوم ، وانتهت المطاردة فى العقيلة حيث تمكن الألمان من الثبات .

وبدأت الجولة الرابعة فى السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٤٢ بهجوم قوى لقوات المحور تحت قيادة المارشال رومل ، ونجح هذا الزحف نجاحا بعيد المدى ، وكان أقوى زحوف المحور وأشدها إضراراً بالقوات الإنجليزية وأكثرها خطراً على عمليات الصحراء ، وقد سقطت بير حكيم فى ١١ يونيو والغزالة يوم ١٤ وسقطت طبرق يوم ٢١ ووصلت قوات المحور إلى الحدود المصرية وتوغلت فيها فبلغت مرسى مطروح

يوم ٢٨ يونيو ، وانتقل القتال بعد ذلك إلى فوكه ثم الضبعة وعدة أميال أخرى حتى وصل إلى العامين . وهناك فى مواجهة أربعين ميلا بين البحر الأبيض ومنخفض القطارة الذى لايمكن عبوره توقف الزحف وصمدت القوات الإنجليزية وبدأ الموقف يتحول بعد ذلك

وأخيراً دق ناقوس الجولة الخامسة فى الثالث والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٤٢ فهجمت القوات الإنجليزية تحت إشراف الجنرال الكسندر وبقيادة الجنرال مونتجمرى قائد الجيش الثامن فكسب الإنجليز المعركة التاريخية وأبعدوا قوات المحور عن مصر نهائياً وأخمدت جميع المقاومات فى مناطق الحدود قبل أن ينتصف شهر نوفمبر

وأسدل الستار نهائياً على مشهد حرب الصحراء المصرية

وابتدأت مرحلة جديدة فاصلة

ففى هذا الوقت الذى منيت فيه قوات المحور بهزيمة خطيرة فى صحراء مصر نزلت قوات أميريكية وإنجليزية على ساحل أفريقيا الشمالية الفرنسية تحت قيادة الجنرال إيزنهاور القائد الأمريكى ، وكان الغرض من هذه الحملة « تحطيم القوات الألمانية والإيطالية فى أفريقيا »

وواصل الجيش الثامن تقدمه فى برقة ، وفى الثانى والعشرين من نوفمبر احتل بنغازى ، وأخذت قوات المحور فى الارتداد بكل سرعة وعجلت بالجلاء عن لوبيا ثم دخلت تونس بعد أن سبقتها إليها قوات محورية أخرى نزلت فى تونس وبنزرت

وأصبحت تونس ميدان الحرب الرئيسى فى أفريقيا ، ودار القتال فيها زهاء ستة شهور ، وحدثت معارك كبيرة بين قوات المحور وقوات الحلفاء التى كانت تضم الإمريكيين والإنجليز والفرنسيين والمحار بين الأحرار ، وقد انتهت هذه الجولة فى الثالث عشر من مايو سنة ١٩٤٣ بضربة قاضية تم التسليم بعدها فكانت الجولة الأخيرة .

وفى ميدان تونس وحده خسر المحور ٥٠ ألف قتيل و ٢٤٨ ألف أسير فكانت ضربة قاصمة ، أما خسائر الإنجليز فقد ذكر مستر تشرشل فى بيانه الذى ألقاه بمجلس العموم يوم ٨ يونيو أن مجموع خسائر الإنجليز فى ميدان تونس كان ٣٥ ألف رجل بين قتيل وجريح ومفقود منهم ١١٥٠٠ من الجيش الثامن و ٢٣٥٠٠ من الجيش الأول .

وقد انهارت مقاومات المحور فى تونس نختم بذلك الفصل الإفريقى من فصول الحرب العالمية بعد عامين ونصف فى قتال مرير بدأ فى الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٩٤٠ فى صحراء مصر وانتهى فى الثالث عشر من مايو سنة ١٩٤٣ فى تونس .

وقد حدثت فى هذه الحرب خمس زحوف كبرى فى ساحات تعد من أطول وأعصى ما عرف فى تاريخ الحملات ، وكان مسرحها من أقوى ساحات الحرب أهمية واعتباراً ، وهى ساحة شمال أفريقيا التى تشرف على البحر المتوسط ويرتكن جناحاها على قنال السويس وجبل طارق وهما من النقط الفاصلة والمراكز الرئيسية فى خريطة الحرب العامة

وانتهى الأمر فى هذا الميـدان بضربة قاضية على قوات المحور وخسارة عسكرية كبيرة لألمانيا وإيطاليا فقد بلغ عدد الذين أسروا أو قتلوا فى هذا الميدان أكثر من ربع مليون بما كان لديهم من أسلحة وطائرات ودبابات وموارد حربيه ضخمة ، وضاع مجهود عامين ونصف فى ميدان فاصل أرسلت إليـه قوات كبيرة وأسلحة ومعدات يعد ضياعها كارثة كبرى . وقد انتصرت انجلترا وحلفاؤها فكان لذلك دوى فى العالم أجمع يشدد من عزمها ويقوى من ثقة حلفائها وآمالهم فى النصر ، بينما كان ذلك يعنى صدمة معنوية شديدة الوقع على دول المحور ، الذى انتهى آخر معقل لها فى أفريقيا .

فاذا قال قائل أن انتصار الصحراء كان عملا عسكريا كبير الشأن كان القول ما قال ، بل سيقول التاريخ كلمته فيذكر أن حرب الصحراء كانت من الحروب الكبرى التى ستتدارسها أجيال متعاقبة . . وأنها كانت من العمليات الفاصلة فى الحرب العالمية الثانية .

فهرس

١٩٤٣/٨/١/١١٤٧

١٥٨